



الجمهورية التركية
جامعة يالوفا
معهد الدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

منهج الرازي في القصص القرآني من خلال سورة الإسراء

رسالة الماجستير

صباح عبد الجليل إبراهيم الجبوري

المشرف: د. مصطفى دميرجي

يالوفا
تشرين الأول 2024



الجمهورية التركية
جامعة يالوفا
معهد الدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

منهج الرازي في القصص القرآني من خلال سورة الإسراء

رسالة الماجستير

صباح عبد الجليل إبراهيم الجبوري
218122025

المشرف: د. مصطفى دميرجي

يالوفا
تشرين الأول 2024

التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية

أتعهد وأصرح بأنني قد جهزت رسالتي هذه بعنوان: "منهج الرازي في القصص القرآني من خلال سورة الإسراء" وفقاً لقواعد كتابة الرسالة الخاصة بمعهد الدراسات العليا في جامعة يالوفا، وأنني قد حصلت على البيانات والمعلومات والوثائق الموجودة فيها في إطار القواعد الأكاديمية والأخلاقية، وقد قدمت جميع المعلومات والوثائق والتقييمات والنتائج وفقاً للقواعد العلمية والأخلاقيات التي أشرت إليها، وعزوت كل ما نقلته فيها إلى مصادره ومراجعته المستفاد منها خلال دراسة الرسالة، دون القيام بإجراء أي تغيير في البيانات المنقولة، وأصرح بأن العمل الذي قدّمته في هذه الرسالة أصلي، وأتحمل كامل المسؤولية القانونية التي قد تنشأ في حالة ثبوت عكس ما صرحت به.

التوقيع

صباح عبد الجليل إبراهيم الجبوري

ETİK BEYAN

Yalova Üniversitesi Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Tez/Proje Yazım Kupaları'na uygun olarak hazırladığım "RAZİ'NİN KUR'ÂN KISSALARINA YAKLAŞIMI: İSRÂ SÛRESİ ÖRNEĞİ" başlıklı bu tez çalışmada; tez içinde sunduğum verileri, bilgileri ve dokümanları akademik ve etik kurallar çerçevesinde elde ettiğimi, tüm bilgi, belge, değerlendirme ve sonuçları bilimsel etik ve ahlak kurallarına uygun olarak sunduğumu, tez çalışmada yararlandığım eserlerin tümüne uygun atıfta bulunarak kaynak gösterdiğimi, kullanılan verilerde herhangi bir değişiklik yapmadığımı, bu tezde sunduğum çalışmanın özgün olduğunu bildirir, aksinin tespiti halinde doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi taahhüt ve beyan ederim.

İmza

SABAH ABDU JALEEL IBRAHIM GBURI

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

بفضل الله تعالى ومنه علي، أكرمني بإتمام هذا البحث المسمى "منهج الرازي في القصص القرآني من خلال سورة الإسراء" أسأله تعالى بقبول هذا العمل أنه سميع مجيب الدعاء.

أقدم هذا البحث صدقة جارية عن والدي والدتي رحمهما الله، أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل وأن يرحمهما ويغفر لهما، وأقدم شكري لوالدي العزيز وأقول جزاك الله عني خير الجزاء وأن يبارك في عمرك ويرفع قدرك في الدارين، ولزوجتي الكريمة التي وافقتني في مسيرتي كلها جزاك الله خير الجزاء، ولعمي الكريم صادق صالح الجهيمي الذي ساندني في كل شيء وفق الله لكل خير، و أخي وجاري المهندس آيرن كور الذي كان سبب في دخولي الجامعة، وأخي الدكتور مصعب القاسمي ووالديه الذي كان دائماً يشجعني ويساندني في كل شيء جزاكم الله خيراً، ودكتور الفاضل ورئيس قسم التفسير سليمان آيدين أقول له جزاك الله خير الجزاء وأطال الله في عمرك، ومشرفي ودكتور مصطفى دمجري الذي وجه هذا العمل كله في الطريق المستقيم جزاك الله خير الجزاء، والدكتورة ضحى محمد صالح مشرفتي السابقة التي وضعت أساس هذا البحث، والدكتور عامر زكريا عقاد الذي كان ناصحاً ومرشداً جزاك الله عني خير الجزاء، وكل من الأستاذ الدكتور عون الله أنس آتيش والدكتور محمد أمين ناس على قبولهما مناقشتي، وتقويم هذا الرسالة وتصحيحها بملاحظاتهم القيمة التي أضفت على هذه الرسالة القيمة العلمية جزاكم الله خير الجزاء وبارك الله في علمكم، وأشكر الأخ الدكتور عمر الموصلي الذي ساعدني في تسنيد هذه الرسالة جزاء الله خيراً ووفقه لكل خير، وعن أصدقائي الذين كانوا بمثابة اخوتي عبد الله وحسين وعبد العزيز جزاكم الله كل خير.

وأود ان أشكر كل من الأخوة والزملاء الأفاضل من أخوتي الطلبة والطالبات الذين كانوا لي عوناً في كل شيء في بدايت الدراسة الى ختامها جزاكم الله خير الجزاء.

وأشكر الدولة التركية حكومةً وشعباً على استضافتهم لنا على أرضيها وحفظها الله من كل شر، وأود أن أشكر جامعة يالوفا إدارةً وكادر جميعاً على كل ما قدموه للطلاب.

ختاماً أقول جزى الله كل من ساعدني في كل شيء خلال دراستي هذه جزاكم الله خير الجزاء جميعاً.

تشرين الأول - 2024

صباح عبد الجليل إبراهيم الجبوري

فهرس المحتويات

i	التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية
ii	الشكر والتقدير
iii	فهرس المحتويات
v	الملخص
vi	ÖZET
vii	ABSTRACT
1	المقدمة
4	الفصل الأول: حياة الرازي ومنهجه في تفسيره مفاتيح الغيب
5	المبحث الأول: حياة الرازي- مولده، عصره، شيوخه تلاميذه، وفاته، مؤلفاته
5	المطلب الأول: حياة الرازي، والعصر الذي نشأ فيه
13	المطلب الثاني: التعريف بتفسيره مفاتيح الغيب
15	المبحث الثاني: منهجه في التفسير
17	المطلب الأول: أقوال العلماء ومكانته العلمية
18	المطلب الثاني: التفاسير في القرن السادس الهجري
	الفصل الثاني: القصص القرآنية، تعريفها، وأنواعها، وأهدافها، ومنهجها، والحكمة من تكرارها
21	
22	المبحث الأول: مفهوم القصص القرآني
25	المبحث الثاني: أنواع القصص القرآني
26	المبحث الثالث: أهداف القصص القرآني
28	المبحث الرابع: منهج القصص القرآني
29	المبحث الخامس: خصائص القصص القرآني
35	المبحث السادس: مقاصد القصص القرآني

المبحث السابع: الحكمة من تكرار القصص القرآني.....	45
الفصل الثالث: الرازي وأسلوبه في القصص القرآني وطريقته في إيرادها تطبيقات على سورة الإسراء.....	51
المبحث الأول: بين يدي سورة الإسراء	52
المطلب الأول: اسم السورة ومناسبة تسميتها	52
المطلب الثاني: أسباب النزول زفضلها	52
المطلب الرابع: السورة ومناسباتها العامة	54
المبحث الثاني: القصص الواردة في سورة الإسراء ومنهج الرازي في تفسيرها.....	58
المطلب الأول: قصة بني إسرائيل	58
المطلب الثاني: قصة آدم عليه السلام مع ابليس	78
المبحث الثاني: توصيف منهج الرازي العام في تفسيره والخاص في القصص القرآني في سورة الإسراء	88
المطلب الأول: توصيف منهج الرازي العام	88
المطلب الثاني: منهجه وأسلوبه في إيراد القصص القرآني في سورة الإسراء	102
النتائج والتوصيات	111
المصادر والمراجع	113
السيرة الذاتية.....	125

منهج الرازي في القصص القرآني من خلال سورة الإسراء

الملخص

تناول الباحث في هذه الرسالة منهج الرازي رحمه الله في القصص القرآني من خلال تفسيره مفاتيح الغيب، وذلك من خلال منهجه في القصص القرآني من خلال سورة الإسراء. ويهدف البحث في تحديد مدى استعانتة بالمأثور، وحدود التأويل والأخذ بالرأي عنده، وبيان ترجيحه للأساليب اللغوية، وإظهار استخلاصه للمسائل الفقهية من القصص القرآني. وتكمن أهمية البحث وقيمتها العلمية في الوقوف على منهج الرازي وما جاء به في القصص القرآني من خلال تفسيره سورة الإسراء مما أعطى أهمية إلى البحث وذلك لاعتبار الرازي من المفسرين بالرأي، ويعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي والتحليلي، مستندا على قصة بني إسرائيل وقصة آدم وقصة إبليس في سورة الإسراء،

ويلخص هذا البحث بنتائج من أهمها؛ أسلوب الرازي في تناول القصص القرآني في سورة الإسراء يُعدّ فريداً من نوعه، حيث استخدم منهجاً يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير العقلي، استدلل بالقرآن والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، ثم أعقب ذلك بتحليل نقدي متعمق، مستعرضاً الآراء المختلفة ومقارنتها، هذا الأسلوب يُظهر اهتمامه بالتفاصيل وإدراكه للأبعاد المختلفة للقصص القرآني، مما يجعله نموذجاً مميزاً في تفسير القرآن، زيادة البحث والتعمق في هذا التفسير الكبير، سواء من حيث الجودة أو الكمية، ورغم جميع البحوث التي أجريت عليه، فإن هذا التفسير يستحق المزيد نظراً لتنوع علومه وكثرة الموضوعات التي تناولها الرازي، إن هذا التنوع والشمول يدل بوضوح، على غزارة علمه في جميع العلوم التي اشتمل عليها التفسير.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الرازي، القصص القرآني، المنهج، سورة الإسراء.

RAZÎ'NİN KUR'AN KISSALARINA YAKLAŞIMI: İSRA SÜRESİ ÖRNEĞİ

ÖZET

Bu çalışmada araştırmacı, Razî'nin Mefâtihu'l-Ğayb adlı tefsirinde Kur'an kıssalarını ele alma yöntemini, özellikle İsra Suresi bağlamında incelemiştir. Araştırmanın amacı, Razî'nin nakle dayalı bilgilere ne ölçüde başvurduğunu, te'vil ve re'y anlayışındaki sınırlarını, dilsel yöntemlere olan eğilimini ve Kur'an kıssalarından fikhî meseleleri nasıl çıkardığını ortaya koymaktır. Araştırmanın önemi ve bilimsel değeri, Razî'nin İsra Suresi bağlamında kıssalar üzerindeki metodolojisini anlamaktan kaynaklanmaktadır. Zira Razî, re'y metoduna dayalı müfessirlerden biri olarak kabul edilir. Çalışma, İsra Suresi'ndeki İsrailoğulları kıssası, Âdem kıssası ve İblis kıssası üzerinde yoğunlaşarak betimsel ve analitik bir yöntem benimsemektedir.

Araştırma sonucunda şu bulgular elde edilmiştir: Razî'nin İsra Suresi'nde kıssaları ele alış tarzı, hem rivayet hem de akli tefsiri bir araya getiren kendine özgü bir yöntem sunmaktadır. Kur'an, sünnet ve sahabe ile tâbiîlerin görüşlerinden istifade etmiş; ardından derinlemesine eleştirel analizlerle farklı görüşleri mukayeseli bir şekilde değerlendirmiştir. Bu yöntem, Razî'nin kıssaların çeşitli boyutlarına gösterdiği ayrıntılı ilgiyi ve derin idrakini yansıtarak onu tefsir alanında özgün bir model haline getirmiştir. Razî'nin bu büyük tefsirindeki genişlik ve derinlik, nitelik ve nicelik açısından daha fazla incelenmeyi hak etmektedir. Çeşitli bilim dallarını kapsayan bu tefsir, ele aldığı konuların çeşitliliği ve kapsamı açısından Razî'nin geniş ilmini açıkça ortaya koymaktadır.

Anahtar Kelimeler: Tefsir, Razî, Kur'an kıssaları, metodoloji, İsra Suresi.

AL-RAZI'S METHODOLOGY IN QUR'ANIC NARRATIVES THROUGH SURAH AL-ISRA

ABSTRACT

This study examines Al-Razi's methodology in interpreting Qur'anic narratives through his renowned exegesis *Mafatih Al-Ghayb* (The Keys to the Unseen), specifically focusing on Surah Al-Isra. The research aims to determine the extent of his reliance on transmitted knowledge (*al-ma'thur*), his approach to interpretation and personal reasoning (*ra'y*), his linguistic preferences, and how he derived jurisprudential rulings from Qur'anic stories. The significance of this study lies in exploring Al-Razi's approach to Qur'anic narratives, particularly in Surah Al-Isra, which highlights his reputation as an interpreter based on reason and critical analysis.

The research employs a descriptive and analytical methodology, focusing on key stories in Surah Al-Isra, such as the stories of the Children of Israel, Adam, and Iblis. The study concludes with several key findings, including that Al-Razi's approach to Qur'anic narratives in Surah Al-Isra is unique. He combined traditional exegesis with rational analysis, drawing evidence from the Qur'an, Hadith, and the sayings of the Companions and *Tabi'un*, followed by in-depth critical analysis. This methodology reflects his attention to detail and his understanding of the multifaceted dimensions of Qur'anic narratives, making his interpretation a distinctive model in Qur'anic exegesis.

Despite extensive research on his work, this monumental exegesis warrants further exploration due to its depth, diversity, and the wide range of topics covered. This diversity highlights Al-Razi's profound knowledge across various disciplines embedded in his exegesis.

Keywords: Tafsir, Al-Razi, Qur'anic Narratives, Methodology, Surah Al-Isra.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين أما بعد.

فإن في القصص القرآني في كتاب الله مجالاً خصباً في الدعوة والتربية والصبر والإيمان، وفيها العبر والعظات، والحكم والإشارات، التي يستفيد منها المرءون، وينتفع منها المعلمون، ويتزود من معينها الصالحون، ومن أجل ذلك فقد اعتنى القرآن الكريم بإيراد القصة، ونوع في سردها وعرضها، وأبدع في أسلوبها، وأحسن في بيانها، واعتمد على إيراد الموعظة في صورة القصص؛ لتكون أبلغ في التأثير والموعظة، وأعظم في التعليم والتذكرة، ويكفي أن تعلم أن القصص بلغ الثلث من القرآن، واشتمل على تجارب الأنبياء مع أقوامهم وسنة الله في خلقه، وما يمكن للمرء أن يستفيد وينتفع منه.

اهتم المفسرون والعلماء والباحثون بدراسة هذه القصص القرآني، كل وفق ما يسره الله له وما فتح عليه من العلم، وكان للإمام الرازي نصيب وافر في هذا المجال، حيث أفرد في تفسيره للقصص باباً واضحاً ضمن مقدمته، تناول فيه أسلوبه وطريقته في سرد القصص، وبين الغايات المرجوة منها، وكيفية التعامل مع النص القرآني، ولم يكن من الممكن تقييم طريقته وأسلوبه إلا من خلال الغوص في تفسيره ودراسة منهجه والمدارس التي اعتمد عليها، لذلك تم اختيار سورة الإسراء المباركة، لما تحويه من قصص وأحداث متنوعة، ولما تتضمنه من أساليب متعددة في السرد، لتوضيح طريقة الرازي وأسلوبه في التعامل مع القصص القرآني، ومبيناً للدروس والعبر منها.

والحمد لله رب العالمين واصلي واسلم على نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه اجمعين.

مشكلة البحث

دراسة منهج الرازي في تفسير القصص القرآني من خلال سورة الاسراء، ويتفرع من هذه الإشكالية الأسئلة التالية:

- 1- ما هو منهج الرازي في التفسير؟
- 2- ماهية القصص القرآني وأهدافها وخصائصها والحكمة منها؟
- 3- ما هو أسلوب الرازي في القصص القرآني من خلال سورة الاسراء؟

أهداف البحث

- 1- بيان منهج الرازي في التفسير.
- 2- تحديد ماهية القصص القرآني وأهدافها وخصائصها والحكمة منها

3- توضيح ما تميز به الرازي في تفسير القصص القرآني من خلال سورة الاسراء

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث وقيمه العلمية في الوقوف على منهج الرازي وما جاء به في القصص القرآني من خلال تفسيره سورة الإسراء مما أعطى أهمية الى البحث وذلك لاعتبار الرازي من المفسرين بالرأي، واطهار جهود الرازي في القصص القرآنية من خلال تفسيره ومنهجه فيها.

منهج البحث

المنهج الذي أتبعه الباحث في هذا البحث متكون من منهجين:

1- المنهج الوصفي: وهو من خلال بيان الأدلة التي بينها الإمام في ايراد كل قصة التي جاءت في سورة الإسراء وبيان الأدلة التي اعتمد عليها سواء كانت عقلية أو نقلية، وبيانها ومناقشتها ومدى موافقتها للصحيح أو من غيره، وعزو الآيات إلى سورها، مراعيًا رسم المصحف، كما أخرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، وتوثيقها في الهامش حسب التوثيق العلمي المعتمد.

2- المنهج التحليلي: وهو تحليل الآيات التي جاءت في سورة الإسراء وفي قصة بني إسرائيل وبيان الآراء التي تناولها الإمام الرازي ومناقشتها لها من خلال الأدلة النقلية والعقلية، في كل آية مع بيان أسلوب الرازي الذي أتبعه. وذلك لتحديد منهج الرازي في تفسيره الذي أتبعه في القصص القرآنية وموافقته المنهج الأثري منهج الصحابة والتابعين، توضيح الأمور التي امتاز بها الرازي في تفسيره للقصة القرآنية عن غيره من المفسرين.

الدراسات السابقة

1- القصة القرآنية في تفسير الرازي، رسالة ماجستير؛ احمد عادل شريف (جامعة الإسكندرية- كلية الآداب- قسم اللغة العربية).

وتضمنت هذه الدراسة بشكل عام النهج التفسيري الذي أتبعه الرازي في التعامل مع القصص القرآني ومدى دقته وموضوعيته في عرض وتحليل هذه القصص من خلال تفسيره، اما موضوع دراستي هو منهج الرازي في القصص القرآني في سورة الإسراء، واسلوبه الذي تميز به عن

غيره من المفسرين في القصص، وتحليله للنص القرآني، من خلال تركيزه على الجوانب اللغوية والتشريعية، أو الروحية في القصص القرآني.

2- القصص القرآني والبعد الفلسفي الحجاجي في تفسير الفخر الرازي، الدكتور رشيد بن يمينية، (جامعة ابن خلدون- تيارات- الجزائر).

موضوع هذه الدراسة هو عن منهج الرازي في تفسيره بشكل عام وقد اخذ جانب من أسلوب القصص القرآني وعن أسلوب الرازي في كيفية تعامله مع القصص وعن استنباطات الرازي وإبرازه الإعجاز البياني واستنباط المعاني الدقيقة بالاستدلال عليها.

ما بينته في دراستي هو منهج الرازي الخاص وطريقته في القصص القرآني في سورة الإسراء وتوضيح ما جاء فيها من حيث استدلالاته العقلية وآرائه، وتوضيح الجوانب اللغوية والأسلوبية والنحوية التي استخدمها في تفسيره للنص.

الفصل الأول: حياة الرازي ومنهجه في تفسيره مفاتيح الغيب

المبحث الأول: حياة الرازي- مولده، عصره، شيوخه تلاميذه، وفاته، مؤلفاته

المطلب الأول: حياة الرازي، والعصر الذي نشأ فيه

أولاً: تعريف بالرازي

أبو عبدالله بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني¹ الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب²، هو شيخ الإسلام، العلامة الفقيه، المفسر، الفيلسوف، المتكلم، المناظر، المؤرخ، عالم اللغة، الطبيب والشاعر، مجدد القرن السادس الهجري³، ولد في مدينة الري شهر رمضان عام(544هـ)⁴.

ثانياً: مولده ونشأته وبيئته العلمية

ولد في مدينة اسمها (الري) تقع غرب أفغانستان في الخامس والعشرين من رمضان في سنة أربع وأربعين وخمسمائة ويقال أيضاً ثلاث وأربعين وخمسمائة هجرية⁵، أمتازت البيئة العلمية المناسبة لفخر الدين الرازي لميوله وقدراته، فكان من أهل فضل وبيت علم، فكان من عاش في كنفه عالماً متميزاً من علماء عصره وهو والده الشيخ عمر رحمه الله كان يشتغل في الخطابة والوعظ والتدريس، وكان الناس يتدارسون ويجتمعون عنده مستلهمين من أدبه وعلمه انذاك⁶.

ولابد من أن يكون لوالده تأثير عليه لأنه هو كان أحد تلاميذته الذي تولى تربيته وتعليمه منذ صغره، وكان له تأثير عليه كبير لأنه تربى على يد والده أخذ العلم والأدب، كما يقال الابن سر أبيه، يقول

¹ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الأربلي، (ت: 681)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، (دار صادر- بيروت، ط 1، 1994)، 248/5.

² صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، (ت: 764)، الوافي بالوفيات، تحقيق، احمد الأرناؤوط، (دار احياء التراث العربي- بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ / 2000م)، 248/4.

³ الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، (ت: 1398هـ)، التفسير والمفسرون، (القاهرة، مكتبة وهبة 2000م)، 290/1.

⁴ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخصري المصري السيوطي، (ت: 911هـ)، الجامع الصغير تحقيق، علي محمد عمر، (ط: 1، القاهرة- مكتبة وهبة، 1396هـ) ص99.

⁵ أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي سليمان اليافعي، (ت: 768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه خليل منصور، (دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط: 1، 1417هـ / 1997م)، 4 / 11.

⁶ عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، ن: (مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط3، 1409هـ 1988م)، 596/2.

أبن أبي أصيبعة" حدثني نجم الدين يوسف بن شرف الدين علي بن محمد الاسفزازي، قال: "كان والد فخر الدين الرازي، ضياء الدين عمر من الري وقد درس الفقه وكان من الخطباء في الري ومن مدرسيها في اوقات معروفة، وهناك عنده تجتمع الناس وعدد كبير من الخلق وذلك لحسن ما يورده ولبلاغته الكبيرة، حتى أشتهر بين الكل الخاص والعام، وله عدة تصانيف في الأصول وفي الوعظ"⁷، ولزم الرازي والده منذ أن كان صغيراً الى أن تعلم على يديه ولم يفارقه الى أن توفي⁸.

وكان وفاة والد الرازي رحمه- الله الشيخ ضياء الدين(559هـ) ، وكانت مدينته التي نشأ فيها وهي (الري) مسرحاً له من حيث الحركة العلمية في مختلف العلوم والمعارف، وكان تعدد المذاهب والافكار في هذه البيئة، قد تأثر الرازي في هذا الجو الذي يعتبر خليط كبير من العلوم والثقافات والمعارف الإسلامية، تعتبر بيئة الرازي الذي ترعرع ودرس فيها(الري) نموذج صغير للبيئة الإسلامية من مافيها من علوم وآراء ومذاهب مختلفة.⁹

ثالثاً: شيوخه

من خلال العلوم التي درسها والتي برع فيها تدل على أنه تتلمذ على عدد كبير من الشيوخ وأهل العلم في شتى الاختصاصات المختلفة، ومن أبرز هؤلاء الشيوخ:-

1- شيخة في علم الأصول ومعلمه الأول والده الشيخ ضياء الدين، الذي قام بتأسيسه ولقنه تلك العلوم التي نشأ عليها حيث غرس فيه أساسيات العلوم التي يبدأ بها كل ناشئ عادةً، بعض العلوم تحتاج الى سن أكبر مثل الأصول والمذهب والأشتغال به، وكان ايضا ذلك على يد والده¹⁰.

⁷ أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، (ت: 668هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق، د نزار رضا (دار مكتبة الحياة- بيروت)، 465/1.

⁸ ابن خلكان، وفيات الأعيان 4/ 250.

⁹ إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباني البغدادي، (ت: 1399هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية (وكالة المعارف بإسطنبول 1951م/ 1955هـ)، 784/1.

¹⁰ ابن خلكان، وفيات الأعيان 4/ 252.

- 2- ومن الشيوخ الذي لازمه في علم الفقه حتى برع على يديه هو (الكمال السمناني)¹¹ كان قاضي الموصل أبو جعفر محمد بن أحمد بن أحمد السمناني الحنفي¹².
- 3- ومن الشيوخ الذي لهم الرازي الحكمة وعلم الكلام حتى أصبح من أعلامها صاحب (محمد بن يحيى الفقيه) أحد تلامذة الإمام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله¹³.
- 4- ومن أفاضل العظماء الذي كان في زمان الرازي رحمه الله وكانت له مصنفات جلييلة القدر (مجد الدين الجيلي)¹⁴.

هؤلاء بعض الشيوخ الذين ذكرتهم وذلك من أجل الحصر وتجنب الأطالة، وتبين أن الرازي لازم هؤلاء الشيوخ مدة طويلة أستطاع من خلالها اخذ منهم العلم والمعرفة، والرازي كان حريص التعلم الذاتي من خلال الاطلاع والقراءة، فهو لا يميل من العلم ولا يضيع وقته، ويذكر أنه يتحسر على أي وقت او جزء منه دون يوضفه في تحصيل العلم، وكان يتأسف في الوقت الذي يتناول في الطعام لأنه كان يشغله عن العلم¹⁵.

وأخذ العلم على الكتب من العلماء السابقين على عصره منهم: أبي حامد الغزالي، وإمام الحرمين، وأبي الحسين البصري، ويحفظ لهم من الكتب، فكان يحفظ لأبي الحسين البصري كتابه (المعتمد) ويحفظ للغزالي كتابه في أصول الفقه (المستصفى) وللإمام الحرمين كتاب الشامل في أصول الدين¹⁶.

ما ظهر من خلال مصاحبة الرازي لشيوخه في طلب العلم :

أسلوب الصحبة والرحلة: فهو يعتبر صاحب لوالده منذ صغره الى وفاته، ومن بعد والده صاحب الكمال السمناني حتى تعلم الفقه على يديه، وبعدها تعلم علم الكلام والحكمة حتى تمكن منهما بمصاحبته المجد الجيلي لفترة طويلة، ويعد بهذا الأسلوب الذي أتبعه الرازي من أهم الأساليب التي يعول عليها

11 تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين الدين السبكي، (ت: 771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلوة، (عيسى البابي، الحلبي مصر ط: 1 1413هـ)، 86/8.

12 علي بن محمد بن أحمد، أبي القاسم الرحيبي السمناني، (ت: 499هـ)، روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، (مؤسسة الرسالة بيروت، دار الفرقان عمان ط: 2، 1404هـ / 1984م) 234/3.

13 اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان 4 / 8.

14 ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء 1 / 462.

15 أبي ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء 1 / 462.

16 اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان 4 / 89.

المسلمين منذ القدم في التربية، فالصحبة في سلوك المتعلم لها تأثير كبير على فهم المادة العلمية، بهذا الأسلوب يكون المتعلم أستاذ من مصاحبة الأخيار بيئة سليمة صالحة وهذا يساعد في تحقيق أهداف التعلم الصادق والسليم، وهذا يدل على أثر الصحبة الصادقة منها الرعيل الأول وأثرها العظيم ومثال على هذا في عهد النبي محمد (ﷺ) تميز هذا الجيل الذي صاحب رسول الله والذي تربي على يديه نالو العزة والمكانة العالية.

فقد رحل الرازي لطلب العلم، بعد وفاة والده ترك بلدته الري وذهب الى (الكمال السمناني)، وبعدها رجع الى بلدته وتعلم من المجد الجيلي، ورحل معه ليكمل التعليم على يديه، ومن هذا يتبين أن الرازي جمع بين شيئين هما الصحبة والرحلة، والرحلة لها تأثير وأسلوب في التعلم والنمو من نواحي عدة منها الناحية المعرفية لدى الرازي والتطبيق العملي الذي كسبه نتيجة التفاعل مع الذي احتك بهم واخذ منهم من خلال مجالسته لهم.

رابعاً: تلاميذه

كان للرازي رحمة الله تلاميذ من كل مكان يأتيه ليأخذ العلم على يديه ولذلك لما كان لديه سعة في العلم وحسن في الأخلاق، كما أن عدد طلابه زاد عن الثلاثة مائة طالب¹⁷.

أذكر من التلاميذ الذين كان لهم دوراً في نقل علمه ومنهجه، ومن هؤلاء التلاميذ الذين سأذكرهم في سبيل الحصر وعد الأطلالة هم أصبحوا ذو شهرة كبيرة:

1- الأرموي: العلامة الأصولي تاج الدين أبو الفضائل محمد بن الحسين بن عبد الله الأرموي ومن كتبه الحاصل من المحصول (ت 656هـ)¹⁸.

2- الأبهري: أثير الدين المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري السرمقندي (ت 663هـ)، له مصنفات كثيرة مشهورة منها (تنزيل الأفكار في تعديل الأسرار)¹⁹.

¹⁷ الصفدي، الوافي بالوفيات 4/ 249.

¹⁸ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (ت: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة ط 3، 1405هـ/ 1985م)، 23/ 334.

¹⁹ البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين 2/ 469.

3- القطب المصري: أبراهيم بن علي بن محمد السلمي المغربي المعروف بالقطب المصري أبو أسحاق (ت618هـ) صنف في الحكمة وشرح كليات القانون بكمالها²⁰.

خامساً: عصره

النصف الثاني من القرن السادس الهجري عاش الرازي في هذه الفترة وهي تعتبر فترة حرجة وعصيبة في حياة المسلمين من جميع النواحي العلمية والعقائدية والاجتماعية وحتى السياسة وذلك بسبب الوهن الذي أصاب الدولة العباسية آنذاك، فكانت الحروب الصليبية في الشام، والتتار من المشرق تهدد المسلمين وتحرك مشاعرهم ووجدانهم، كثرت الخلافات العقائدية والمذهبية بشكل عام، وفي مدينة الري على وجه الخصوص كانت هناك ثلاث طوائف منهم (الشافعية وهم قليل، والحنفية وهم الأكثر، والشيعة وهم الأغلبية، وحصل التصادم بين الشيعة وأهل السنة آنذاك وكان النصر حليف أهل السنة)²¹.

ثم بعد هذه الحروب وقع تصادم بين الحنفية والشافعية وكانت الغلبة للشافعية على الرغم من قلة عددهم، وبينما هم على هذا الحال وطال الجدل بين الفرق والتناحر وأشهرها: الشيعة، والباطنية، والكرامية، والمرجئة، والمعتزلة.

هذا من ناحية الفرق، وأما من ناحية العلوم فيقول فيها أبو خلدون في مقدمته: "وبلغنا عن أخبار أهل المشرق بأن لا تزال هذه العلوم وهي (الهندسة، والموسيقى، والعلم الألهي، والعلم الطبيعي) لا تزال عندهم وفرة وخصوصاً في بلاد ماوراء النهر في عراق العجم، وهي لا تزال باقية على نهج العلوم النقلية والعقلية وذلك لتوفر عمرانها واستحكام الحضارة فيها"²²، والفرق الشيعية أستفحل شرهم وقاموا بالأغتيالات الفردية ومن ضحيتها قاضي قضاة أصبهان، قال عنهم أبو العمداد في شذرات الذهب: "ومن الخطب في هؤلاء الملاعين حيث خافهم الأمير والعالم وذلك لهجومهم على الناس"²³.

²⁰ الصفي، الوافي بالوفيات 6 / 46.

²¹ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (المتوفى: 626هـ)، معجم البلدان، (دار صادر بيروت 1995 م، ط: 2) 893/ 2.

²² عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، (ت: 808هـ)، مقدمة أبو خلدون، ضبط المتن والفهرس والحاشية: أ. خليل شحادة، (دار الفكر، بيروت ط1، 1401هـ / 1981م)، 5 / 138.

²³ الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري ابن العماد، (ت: 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دار ابن كثير دمشق بيروت ط 1 1408 هـ / 1988م)، 3 / 46.

ووصفهم الإمام الغزالي رحمه الله الشيعة: "ظاهر المذهب الرافض والباطن كفر محض"²⁴، وكل هذه الاضطرابات التي حصلت من الناحية الدينية والعقلية والسياسية نشأ فيها الرازي رحمه الله يقول عنه السبكي: "ذهب الى خوارزم بعد اصبح.

ماهرًا في العلوم، فجرت مناظرات عديدة بينه وبين المعتزلة مما أدى ذلك الى خروجه منها، ثم ذهب إلى ماوراء النهر وحصل معه نفس ماحصل في خوارزم بعدها رجع الى الري"²⁵، ويقول عنه الداودي: "ولقد وجدت بين جماعات من الكرامية مخاصمات كبيرة وفتن، ولقد أؤذي بسببهم، ورد عليهم وآذاهم وكان في كل جلسة ينال منهم وينالونه"²⁶.

أدى ذلك الى خروجه منها، ثم ذهب الى ماوراء النهر وحصل معه نفس ماحصل في خوارزم بعدها رجع الى الري"²⁷، ويقول عنه الداودي: "ولقد وجدت بين جماعات من الكرامية مخاصمات كبيرة وفتن، ولقد أؤذي بسببهم، ورد عليهم وآذاهم وكان في كل جلسة ينال منهم وينالونه"²⁸.

تبين من كل هذه الأحداث التي حصلت في القرن السادس الهجري حيث أن اجتمعت فيه الكثير من التناقضات، ووجود عوامل القوة من أجل استمرار الحضارة الإسلامية كان لها وجود ايضا، فلا تكاد تسقط دولة حتى تظهر دولة أخرى، وذلك لمواصلة المسيرة التاريخية، منها استطاعت من خلالها الدولتين الغورية والخوارزمية مقاومة فتن الغز، وللري التي ولد فيها الرازي موقع للعديد من الأحداث التاريخية التي حصلت في ذلك الوقت، ويرجع ذلك كثرة طرقها الى الدول بحيث أن لجأ أهلها لدور تتكون تحت الأرض أتخذوها في غاية الظلمة ووعرة مسالكها، وهي موقعها الآن الجنوب الغربي من طهران²⁹، قامت الدولة الغورية سنة (543هـ) وهي تعتبر السنة التي ولد فيها الرازي رحمه الله، وهي كانت فترة ضعف

²⁴ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الغزالي، (ت: 505هـ)، فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت) ص37.

²⁵ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى 8/89.

²⁶ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، (ت: 945هـ)، طبقات المفسرين، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط: 1403هـ / 1983م)، 216/2.

²⁷ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى 8/89.

²⁸ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، (ت: 945هـ)، طبقات المفسرين، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط: 1403هـ / 1983م)، 216/2.

²⁹ ياقوت الحموي، معجم البلدان 2/849.

وأنحطاط للدولتين (السلجوقية والغزنوية)، وهما حقبة للظلم التي تحت ظلالهما عاش الرازي، وبعد موته ببضع سنين عندما خرج المغول من بلاد الصين زالتا هاتين الدولتين.

أن كل ما لحق من تغيير وحروب وتناحر واضطرابات من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لم تؤثر على مسيرة الأمة الإسلامية في النهوض العلمي والثقافي في تلك الفترة، بل خلق روح تنافسيه بين السلاطين على جلب أهل العلم الى بلادهم وحمائيتهم، حيث نشطت فيها الترجمة بشكل واسع من اللغات المختلفة الى العربية، وظهر طاقات من العلماء في التأليف والبحث ولذلك لمواجهة الضعف الاجتماعي والسياسي³⁰.

سادساً: مؤلفاته

أوصل المؤرخون الى قرابة المائتي كتاب من مؤلفات الرازي³¹، على الرغم من الاضطرابات السياسية والخلافات العقائدية ولا مناظراته مع خصومه كانت تمنعه من الكتابة والتأليف، لأنه كان صاحب عزيمة كبيرة وحبه لهما.

والكثير من المؤلفين القدامى قاموا بإحصاء مؤلفات للرازي منهم: ابن عماد الحنبلي، وابن خلكان، والقفطي، ومن المعاصرين ايضا منهم: الدكتور علي سامي النشار، والمستشرق بروكلمان، ومن هذه الكتب منها لم يطبع ومنها من طبع والتي طبعت منها:

1- الأربعين في أصول الدين، 1934 طبع للمرة الأولى في الهند.

2- أساس التقديس في علم الكلام، 1935 القاهرة، والذي قام بطبعه مصطفى البابي الحلبي.

3- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، 1938 تحقيق علي سامي النجار.

4- اسرار التنزيل وأنوار التأويل، 1301هـ وطبع (بالفارسية).

5- الخمسين في أصول الدين، 1328هـ.

6- أساس التقديس، وهي رسالة في علم الكلام، 1318هـ.

³⁰ رسالة ماجستير، إعداد الطالبة أنفال بنت يحيى إمام موقف الرازي من القضاء والقدر في التفسير الكبير تحقيق: يحيى محمد بن ربيع، ن: (جامعة أم القرى- مكة المكرمة)، ط1، 1432هـ - 2011م ص12.

³¹ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ابن كثير، (المتوفى: 774هـ)، البداية والنهاية، (دار أحياء التراث العربي، ط: 1 1408هـ / 1998م)، 59/13.

7- لباب الأشارات، 1326هـ أعتنى بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني.

8- اللوامع البينات في شرح اسماء الله تعالى والصفات، 1323هـ.

9- مناقب الإمام الشافعي، 1279هـ.

10- المعالم في أصول الفقه.

11- الآيات البينات.

12- المباحث الشرقية.

13- المطالب العالية في علم الكلام.

وهناك الكثير منها لا مجال لذكرها كلها.

سابعاً: عقيدة الرازي

الرازي رحمه الله أشعري العقيدة، شافعي المذهب، وجمع في كتبه ما قاله الأشاعرة من المتقدمين، وزاد زيادة كثيرة عليهم³².

تاسعاً: وفاته

أن وفاة الرازي في عيد الفطر يوم الاثنين بمدينة هراة (606 هـ) غرب أفغانستان ودفن في الجبل آخر النهار في المصاقب التابعة لقرية مزادخان ، وهذا التأريخ أجمعت عليه المصادر التأريخية، رحمه الله تعالى³³.

والبعض يقول إن وفاة الرازي كان سببه السم ويرجع ذلك عدائه مع فرقة الكرامية وضعت له سماً لأنه كان يتعرض لمذهبهم³⁴.

32 د. احمد محمد الجزار، (1445هـ)، التصوف جسر ثقافي بين الشرق والغرب، ن: (منشأة المعارف بالإسكندرية، 2000م)، ص22.

33 ابن خلكان: وفيات الاعيان (252/4).

34 مجموعة من المؤلفين، كتاب في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، ص298. بتصرّف .

المطلب الثاني: التعريف بتفسيره مفاتيح الغيب

أولاً: اسم التفسير

سمى الرازي تفسيره بالتفسير الكبير إلا أنه لم يسمي هذه التسمية في سطور تفسيره وإنما وجدت في بعض من كتبه، حيث قال في كتاب المعالم في أصول الفقه: "وأعلم في التفسير الكبير أكثر ما يدعى فيه نسخ فإنه يصح حمله على التخصيص، وهو معتمد في جواز النسخ العقل والنقل"³⁵.

وقال أيضاً في كتاب مناقب الشافعي: "وأعلم أن الذي صنفناه التفسير الكبير أن كل من طالعه ووقف على طريقتنا في استنباط المسائل كانت وفق مذهب الشافعي"³⁶، من كتاب الله تعالى علم أن الشافعي بحراً لا ساحل له"³⁷، وفي كتابه أساس التقديس قال: "الوجه الخامس: في التفسير الكبير ذكرنا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 208]"³⁸.

وفي الأربعين في أصول الدين كتابه قال: "ما يخص الأجوبة التي فصلناها فهي موجودة في التفسير الكبير"³⁹. وفي كتابه المطالب العالية قال: "والدلائل أنواع على أن اله العالم رحيم قادر مختار حكيم: اعلم قد شرحنا وبالعنا في هذا الباب بالتفسير الكبير"⁴⁰، والبعض من المؤرخين ذكروا بأنه الرازي رحمه الله سمي تفسيره التفسير الكبير بأسماء: فتوح الغيب ومفاتيح الغيب.

ويظهر أن الرازي من خلال طريقتة أنه يذكر ما يألّف ومن كلام الرازي يثبت ذلك، ومن عاداته يذكر مؤلفاته بأسمائها في كتبه ومنها: أسرار الترتيل⁴¹، والملخص، والمباحث المشرقية⁴²، والسر المكتوم، والمطالب العالية.

³⁵ فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي، (المتوفى: 606هـ)، المعالم في علم أصول الفقه، تحقيق: علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، (مؤسسة المختار دار عالم المعرفة - القاهرة، 1424هـ / 1994م)، ص 61.

³⁶ ابن كثير، البداية والنهاية 10 / 691-694.

³⁷ الرازي، مناقب الإمام الشافعي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، (مكتبة الأزهرية القاهرة، 1406هـ / 1986م) ص 193.

³⁸ الرازي، أساس التقديس، (مؤسسة الكتب الثقافية بيروت 1415 هـ / 1995م) ص 86.

³⁹ الرازي، الأربعين في أصول الدين، تحقيق: أحمد حجازي السقا، (دار الجيل، 2004م)، ص 415.

⁴⁰ الرازي، المطالب العالية من العلم الإلهي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ن: (دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1407هـ / 1987م) ج 4 ص 355.

⁴¹ الرازي، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، تحقيق: د عاصم إبراهيم الكيالي، (دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2020م) ص 51.

⁴² الرازي، شرح عيون الحكمة، (مؤسسة الصادق - طهران، ط: 1 1415هـ) 187/2.

ثانياً: نسبة التفسير للرازي:

ومن خلال ما ذكر سابقاً تبين أن هذه التسمية هي من صنيع الرازي في تسمية تفسيره التفسير الكبير، فلو كان غير ذلك لأشار إليه في كتبه لأنه هو من عادته يذكر في كتبه أسماء مؤلفاته، وللتأكيد ذكر أحد مختصري التفسير دل على اسم تفسير الرازي التفسير الكبير جاء نصه في كتاب غرائب القرآن: "وما جاء في التفسير الكبير المنسوب إلى الإمام... فخر الملة والدين والحق محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي أسكنه الله جنانه وتغمده برضوانه اسمه مطابق لمسماه وفيه من البحوث واللطائف ما لا تحصى".⁴³

والتفسير الكبير لاشك فيه هو للرازي وهو من مصنفاته ويظهر جلياً من خلال الآتي:

1. تصريح الرازي وذكره في عدد من مؤلفاته عند مناقشته لبعض القضايا بالتفسير الكبير.⁴⁴
2. ذكر الرازي في التفسير بأسمه وهو من صنف الكتاب كقوله: (يقول محمد الرازي مصنف هذا الكتاب)⁴⁵
3. أسلوب الرازي الواضح فيه من حيث الدقة والتفكير، وهو من خلال الاستدلال بالأدلة العقلية على القضايا، وحدة المنطق، وكثرة الاستطراد فيه، وتشعيب المسائل والقدرة عليها وحصر أقسامها وتفتيتها وتفريعها)⁴⁶.
4. ما صرح به أصحاب التراجم والكتب والطبقات الذين ترجموا للرازي عند ذكرهم لمصنفاته بأن هذا التفسير هو كتاب من كتب الرازي.⁴⁷
5. مختصري التفسير اشارتهم له بأنه التفسير الكبير من مصنفات الرازي⁴⁸

⁴³ النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، (ت: 850هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق، الشيخ زكية عميرات، (دار الكتب العلمية بيروت ط1 1416هـ)، 6/1.

⁴⁴ الرازي، (مناقب الإمام الشافعي)، تحقيق: احمد حجازي السقا، (مكتبة الكليات الأزهرية، 1406هـ / 1986م)، ص193، 200.

⁴⁵ الرازي، مفاتيح الغيب 10 / 61.

⁴⁶ الصفي، الوافي بالوفيات 176/4.

⁴⁷ : احمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (المتوفى: 852هـ) لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية 1423هـ / 2002م)، 6 / 318.

⁴⁸ النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان 6/1.

ومن قال من اهل العلم في نسبة التفسير الكبير أنه كله للرازي ومنهم من يقول أنه من أكمل عنه تفسيره غير الرازي، الذي قرأ التفسير الكبير لايلاحظ فيه اي تفاوت من حيث المنهج والمسلك، بل على العكس يجري الكتاب من اوله الى آخره نفس الطريقة وعلى نمط واحد⁴⁹.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير

يعتبر المنهج الذي اتبعه الرازي في تفسير القرآن الكريم من أهم المراجع التي يعتمد عليها في التفسير، لان الرازي له طريقته في التفسير مثلاً يبدأ بتسمية السورة، وبعدها يوضحها هل هي من المكي او المدني، وهو يعتبر من المفسرين الذين انفردوا بعلم أي السور كان يهتم بعدد الآيات في السورة الواحدة وسبب نزولها.

ما خلال ماتميز به تفسيره، يستنتج الباحث طريقة الفكر التربوي لدى الرازي فيما يلي:

1. يمتاز تفسيره الكبير عن كتب التفسير الأخرى على الأبحاث الواسعة والفياضة في أنواع العلوم، لهذا واصفوه بأنه التفسير الذي جمع فيه كل غريب وغريبة⁵⁰. وقال عنه اليافعي: "بأن التفسير الكبير تفسير كبير جداً وأن فيه العجائب والغرائب ما يسترعي انتباه كل طالب"⁵¹.
2. يعتبر كتابه أهم تفسير لذكر مناسبات السور بعضها لبعض، بل لذكر الآيات بعضها لبعض، وفي كثير من الأحيان يذكر مناسبة آخر الآية والسورة وختمها لأولها، وربما لا يكتفى بذكر مناسبة واحدة، بل يعددها، وهو في هذا أثبت بأن كلام الله- تعالى- على غاية من الترابط والدقة والإحكام وهو ما لا نجده في تفسير آخر⁵².

⁴⁹ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون 1 / 251.

⁵⁰ ابن خلكان، الوافي بالوفيات 4 / 249.

⁵¹ اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان 4 / 7.

⁵² د. عبد الجواد خلف، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، ن: (دار البيان- القاهرة، 2003م، ص140)

3. الاهتمام بالعلوم الرياضية والكلامية: الفخر الرازي ينتهز فرصة تفسير الآيات التي يلمح فيها أية إشارة إلى العلوم الطبيعية والكونية كالفلك، والهيئة، والطب، فيتعرض لمباحثها، ويستطرد فيها بشكل ملفت⁵³.

4. اهتمامه بالرد على المعتزلة والفرق الكلامية: والرازي كسّى يعتقد ما يعتقده أهل السنة لا يترك فرصة من أية قرآنية تتعرض لها المذاهب الكلامية خاصة المعتزلة حتى يفند أقوالهم فيها، ويرد عليها⁵⁴.

5. إبرازه ووقفه عند آيات الأحكام: وأيضا فالفخر الرازي كان شافعي المذهب متمكنا من الدراسات الفقهية، فكان إذا وقف عند أية من آيات الأحكام فنّدها تفنيداً جيداً وانتصر لمذهب الشافعي انتصاراً ظاهراً⁵⁵.

6. ترتيب المسائل: وأبرز ما في منهج الرازي أيضاً أنه كان يورد الآية الكريمة ثم يذكر عدد ما يمكن أن يكون فيها من مسائل فيقول هذه الآية فيها سبع مسائل: الأولى كذا وكذا والثانية كذا وكذا.

7. ذكر اللغة والقراءات وأسباب النزول: ولا شك أن الرازي لم يفته في منهجه الاعتماد على ما اعتمد عليه غالب المفسرين في مناهجهم كالاهتمام بذكر أسباب النزول، والقراءات، واللغة، والاستدلال بالشعر على مفردات القرآن الكريم⁵⁶.

وقد ظهر إن تفصيل الرازي في تفسيره وما جاء به من علوم مختلفة، يدل على علم الرازي وفقهه وخصوصاً في تفصيله في المباحث المتعلقة في اللغة والأعراب، ومنهجه في تفسيره ذكر المناسبة لكل آية ووقفه عن آيات الأحكام واهتمامه بالعلوم الرياضية والكلامية وهذا دليل آخر على علمه والحكمة التي كانت عند الرازي لذلك احتوى تفسيره الوان مختلفة من المعرفة والعلم، فكان له أسهامه الضخم في الإنتاج الفكري للحضارة الإسلامية حتى لا يكاد يوجد له نظير في زمانه .

53 د. عبد الجواد خلف، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن ص140.

54 د. عبد الجواد خلف، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن ص141.

55 د. عبد الجواد خلف، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن ص141.

56 د. عبد الجواد خلف، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن ص141.

المطلب الأول: أقوال العلماء ومكانته العلمية

في المبحث بينت أقوال أهل العلم على وهما من وافقه ومن لم يوافقه وأما من وافقه كالتالي:
لقد شهد العلماء والباحثون للرازي رحمه الله بكل خير، ووصفوه بالوصف الحسن وجعلوه في
المراتب العليا قديمهم ومعاصرهم وأثنوا عليه ثناءً حسناً منهم:

1. قال ابن الأثير عن الرازي (ت630هـ): "كان إمام الدنيا في زمانه"⁵⁷.
2. قال القفطي (ت686هـ): "هو سيد المحدثين والحكماء وهو أفضل المتأخرين، قوي في النظر
بصناعة الطب وأبحاثها، وكلامه على المنبر بأنواع الحكمة"⁵⁸.
3. قال ابن خلكان (ت681هـ): "فريد زمانه، فقد فاق أهل عصره في علم الكلام، وعلم
الأوائل"⁵⁹.
4. قال الذهبي (ت648هـ): "كل ما صنفه ممتع، لذلك رزق فيها السعادة العظيمة وأنتشر في
الآفاق"⁶⁰.
5. قال السبكي (ت771هـ): "هو إمام المتكلمين في عصره، وله الباع الواسع في تعليق العلوم
والإجتماع الشاسع من الحقائق والمنطق والمفهوم، هو بحر ليس للبحر ماله من جواهر، وحر
سما على السماء وليس للسماء مثله ماله من زواهر، كروضة علم تستقل في الرياض نفسها
تحاكي مالمديه من الأزاهر"⁶¹.
6. وقال الدكتور عنه محمد حسين الذهبي
7. رحمه الله (ت1987م): "كان فريد في عصره ومتكلم زمانه"⁶².

⁵⁷ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، (المتوفى: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد السلام تدمري، ن: (دار العربي، بيروت لبنان ط: 1/ 1417 هـ / 1997م)، 9/ 302.

⁵⁸ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء 1/ 462.

⁵⁹ ابن خلكان، الوافي بالوفيات 3/ 381.

⁶⁰ الذهبي، تاريخ الإسلام، (مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط: 1/ 1988م)، 6/ 206.

⁶¹ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى 8/ 81.

⁶² محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون 1/ 206.

ومن العلماء من لم يوافق الرازي منهم قول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما الرازي فمنهجه في الكتاب الواحد بل حتى في الموضوع الواحد ينصر قولاً وفي موضع آخر منه أو في كتاب آخر ينصر نقيضه؛ لذلك فاستقر أمره على الشك والحيرة"⁶³.

ليس في طريقة الرازي تناقضاً، وإنما هي تعبير عن المراحل التي مر بها الرازي وهي تمتاز بالإختلاف في التعصب من قبل الخصوم، وما أشاع عنه من تناقض واضطراب نشأ ذلك لعدم معرفة الرازي إلى ترتيب تأليف كتبه، ولهذا كيف علينا الخروج من هذا التناقض هو بالعودة إلى الترتيب الزمني لمؤلفاته، ومن جهة أخرى الذي مر به الرازي هو ليس تناقض بل هو تطور مامر به، فإنتقاله من خانة المتكلمين إلى خانة الفلاسفة، ثم وقوفه بين الخانتين، وثم إنتقاله خارج هاتين الخانتين، وتمسكه بطريقة القرآن.

المطلب الثاني: التفاسير في القرن السادس الهجري

في هذا القرن امتاز بوجود ثلاث تفاسير منها مفاتيح الغيب للرازي وهو موضوع الرسالة تم ذكره ومن هذه التفاسير هي:

أولاً: معالم التنزيل

هو للإمام محيي السنة أبو محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، المتوفى (سنة 516 هـ)،⁶⁵ قال عنه ابن خلكان إنه صنف في تفسير كلام الله تعالى، وأوضح المشكلات من قول النبي (صلى الله عليه وسلم)، ودرّس وروى الحديث،⁶⁶ ووصفه صاحب "كشف الظنون" بأنه كتاب متوسط نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وقد اختصره الشيخ تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب المحمد

⁶³ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الدمشقي ابن تيمية، (ت: 728هـ)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق، محمد رشاد سالم، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط: 1 1406هـ/1986م)، 270/5.

⁶⁴ يعلل ذلك سببه لكثرة تعمقه بعلم الكلام والفلسفة وأختلاط هذين العلمين في فكره، وأورثه في ذلك حيرة، فتراه يميل إلى المتكلمين تارة، والمتفلسفة تارة، وتراه يقف تارة أخرى، وليس تعمداً لنصرة الباطل، بل يقول بحسب ما يوافق الأدلة العقلية في نظريته وبحثه، انظر، انفال يحيى إمام، موقف الرازي من القضاء والقدر، رسالة ماجستير، ص29.

⁶⁵ حاجي خليفة، كشف الظنون 1726/2.

⁶⁶ ابن خلكان، الوافي بالوفيات 136/2.

الحسيني، (ت: سنة 875 هـ)،⁶⁷ أما السبكي فقد قال عن البغوي إنه كان محدثًا مفسرًا جامعًا بين العلم والعمل، سالگًا سبيل السلف،⁶⁸ ووصفه بأنه صاحب قدر عالٍ في الدين، وفي التفسير والحديث، وأنه جامع لعلوم القرآن والسنة والفقه،⁶⁹ يُعد تفسير البغوي من كتب التفسير بالمأثور،⁷⁰ رغم أنه قد أخذ عليه روايته عن الكلبي وغيره من الضعفاء،⁷¹ فإنه وُصف أيضًا بأنه من أجل المصنفات في علم التفسير، وأعلاها وأنبلها يُعتبر جامعًا للصحيح من الأقاويل، خاليًا من الشبهات والتصحييف والتبديل، ومحلًا بالأحاديث النبوية، مزدانًا بالأحكام الشرعية، مشبّعًا بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة، ومزخرقًا بأحسن الإشارات، مُعبّرًا بأوضح العبارات، ومُقَدّمًا في قالب جمالي بأفصح الأسلوب⁷².

ثانيًا: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

النموذج الثاني الذي اخترناه من تفاسير أهل السنة في القرن السادس هو المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الخالق بن أبي بكر بن علي بن عطية الغرناطي، (ت: 546 هـ)،⁷³ يُعد ابن عطية من أبرز علماء مذهب المالكية ومن مفسري القرن السادس، كما كان من شيوخ النحو وأساطين النحاة، احتل تفسيره مكانة عالية بين كتب التفسير التي تعتمد أساسًا على النقل، يرى النقاد أن ابن عطية قد استفاد كثيرًا من ابن جرير الطبري، حيث استشهد بالشعر العربي واعتنى بالشواهد الأدبية للعبارات، كما كان يعتمد على اللغة العربية في توجيه بعض المعاني ويهتم بالصناعة النحوية.⁷⁴

ثم نجد أن ابن خلدون عبر عن رضاه تجاه المنهج الذي اتبعه ابن عطية في تفسيره، فقد انتقد ابن خلدون بعض كتب التفسير بسبب امتلائها بالمنقولات التي قال إنها تأتي من أهل التوراة الذين يسكنون البادية، دون تحقيق دقيق لما يُنقل، وأشار إلى أن هؤلاء المنقولات لم تكن موثوقة، ولكن عندما عاد الناس إلى التحقيق والتمحيص، جاء أبو محمد ابن عطية، وهو متأخر من المغرب، فاختصر تلك التفاسير كلها وتحقق من صحة ما هو أقرب إلى الصواب منها، وضَمَّن ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس،

⁶⁷ حاجي خليفة، كشف الظنون 2/ 1726.

⁶⁸ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى 75/7.

⁶⁹ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى 75/7.

⁷⁰ الذهبي، التفسير والمفسرون 238/1.

⁷¹ الذهبي، التفسير والمفسرون 237/1.

⁷² الذهبي، التفسير والمفسرون 236/1.

⁷³ حاجي خليفة، كشف الظنون 2/ 1613.

⁷⁴ الذهبي، التفسير والمفسرون 239/1، 240.

وقد حسّن ابن عطية المنهج، واتبعه القرطبي في كتاب آخر على نفس الطريقة، وهو كتاب مشهود في المشرق.⁷⁵



⁷⁵ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ص440.

الفصل الثاني: القصص القرآنية، تعريفها، وانواعها، وأهدافها، ومنهجها، والحكمة من تكرارها

المبحث الأول: مفهوم القصص القرآني

أولاً: تعريف المنهج لغةً

المنهج هو مصدر مشتق من الفعل " نهج: طريقٌ نهجٌ: بَيِّنٌ وَاضِحٌ وَهُوَ النُّهْجُ"⁷⁶، قال يزيد بنُ الخَدَّاقِ العَبْدِيُّ:

وَلَقَدْ أَضَاءَ لَكَ الطَّرِيقُ، وَأَنْهَجْتَ ... سُبُلَ الْمَكَارِمِ، وَالْهُدَى تُعْدِي⁷⁷.

أي تُعِنُّ وَتُقَوِّي، والمنهاجُ: أي الطريق الواضح، وفي حديث العباس: لم يمت رسول الله ﷺ حَتَّى تَرَكَكُمْ عَلَى طَرِيقٍ نَاهِجَةٍ، أي واضحة بينة⁷⁸.

وعرفه ابو بكر الرازي: "هو الوجه الاوضح الذي جرى عليه الاستعمال"⁷⁹.

ثانياً: تعريف المنهج اصطلاحاً

اجتهد أهل العلم في صياغة تعريفات لكلمة المنهج كلٌ على حسب علمه واختصاصه.

المنهج: هو الطريقة في البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم او في نطاقات المعرفة الإنسانية⁸⁰.

وقال عنه: هو الطريق المؤدي الى كشف الحقيقة بالعلوم بواسطة العديد من القواعد التي تسيطر على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة⁸¹.

⁷⁶ محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري ابن منظور الإفريقي، (ت: 711هـ)، لسان العرب، تحقيق: روحية النحاس، (دار الفكر للطباعة دمشق- سوريا ط: 11402هـ / 1984م)، ج2 حرف النون ص383.

⁷⁷ المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، (ت: 168هـ)، المفضليات، تحقيق: احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، (دار المعارف / القاهرة، ط6)، 296/1.

⁷⁸ ابن منظور: لسان العرب 2 / 383.

⁷⁹ زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ابي بكر الرازي، (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ن: (المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت - صيدا)، ط: 5 1420هـ 1999م، باب ن هـ ج 1 / 320.

⁸⁰ علي سامي بن امين الدمياطي النشار المصري، (ت: 1400هـ)، نشأة الفكر الفلسفي عند المسلمين، (دار السلام - القاهرة) ص7.

⁸¹ عبد الرحمن محمد الشرباصي البدوي، (المتوفى: 2002م)، مناهج البحث العلمي تحقيق: د عبد الرحمن بدوي، ن: (دار النهضة العربية) 1963م، ص6.

أولاً القصة: تعريف القصة لغةً

عرفه الأزهرى: القص هو أتباع الأثر فلان خرج قصصاً في أثر فلان أي تتبع أثره، وهي لمن يقص القصص يقال عنه قاص لتتبعه خبراً بعد خبر ويسوق الكلام سوقاً⁸².

والقاص: هو الذي يأتي بالقصة على وجهها ويتتبع اللفظ والمعنى.

والقصة: هي الأمر أو الحديث الذي اقتصر أي رويته على وجهه والقصص الخبر المقصوص.

وعرفه الإمام ابن فارس: "القص يدل على تتبع الشيء، وهو مأخوذ من قولك اقتصصت الأثر إذا تتبعته ومن الباب: قص الشعر أي أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها، فصارت كل شعرة تابعة لأختها مساوية لها في طريقها⁸³.

ويقول الأصفهاني: القص هو تتبع الأثر"، قال تعالى ﴿فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف 64].

القصص هو الأخبار المتتبعة، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران 62]⁸⁴، والبيان والأعلام من معانيها، قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف 3]، أي نبين لك أحسن البيان.

وقال عنها الكفوي في كتابه الكليات القصة: هي الخبر المقصوص أي قصصت عليك الخبر قصاً أو قصصاً، والقاص هو من يأتي بالقصة على الوجه الذي جاءت به كأنه يتتبع المعاني التي فيها والألفاظ، والقصة بكسر القاف جمع قصة⁸⁵.

⁸² الذهبي، العبر في خبر من غير، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (دار الكتب العلمية- بيروت)، 271/2.

⁸³ احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ابن فارس أبو الحسين، (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر بيروت، 1399هـ / 1979م)، 11/ 5.

⁸⁴ أبو القاسم محمد بن علي بن عمر راغب الأصفهاني، (ت: 502هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دار القلم دار الشامية دمشق بيروت، ط: 2 2009م)، ص 671.

⁸⁵ أبو البقاء ايوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت: 1094هـ)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (مؤسسة الرسالة لبنان بيروت ط: 2 1988م) ص 734.

من خلال التعريفات: نظراً لخلاصة القصص وما احتوتها من معان لغوية نستطيع القول والاستدلال: بأن مادة القصص تقوم على التتبع سواء كان هذا التتبع مادياً مثل: قص العظام أو قص الشعر أو الأثر، أو معنوياً مثل: قص الأخبار والكلام وبهذا يكون اعتماد القصص على امرين هامين وهما:

أولاً: هو تتبع الخبر أو الشئ على الوجه الذي جاء به الوجه الصحيح.

ثانياً: يكون متساوي عند التتبع.

ثانياً: تعريف القصة اصطلاحاً

القصص حكاية الإنباء لأمر يراد، والقصة مثله، لكنه أوسع منه نطاقاً، وأشمل ودلالة؛ لأنه يعني الحكاية مطلقة جامعة، لا يحدها حد، ولا تميزها صفة، أما القصة ففي بنيتها إشارة إلى هيئة، ولا إحاطة فيها ولا شمول، ويلتزم القرآن لفظ القصص كلما ذكره، لا يتبدل به القصة، ولا يراوح بينه وبينها، كأن المراد والله أعلم هو القصص في عمومها واستيعابه، بينه في الحكاية ولا تمييز.

عرف أهل العلم والدارسون القصص القرآني تعريفات منها:

قال عنها العدوي: "هي كل خبر ورد في القرآن الكريم أخبر الله تعالى نبيه محمد ﷺ بقصد الهداية والعبرة، سواء كانت بين الأمم السابقة أفراد أو جماعات، أو بين الرسل وأقوامهم"⁸⁶.

وقال عنها الرازي: "هي مجموعة من الكمال الذي يشتمل على الهداية الى الدين الذي يرشد الى الحق ويأمر بطلب النجاة"⁸⁷، والقصة: "هي عبارة عن قضية ذات مراحل تتبع بعضها البعض"⁸⁸.

وعرفها عبد الكريم الخطيب قال: "هي ما حدث في القرون الأولى، كان هناك صراع بين قوى الحق والضلال في مجال الرسائل السماوية، تدور هذه الأخبار حول ما حدث في تلك الفترة حيث تتصارع موكب النور مع جحافل الظلام"⁸⁹.

⁸⁶ محمد خير العدوي، (ت: 1201)، القصة القرآنية معالم وتحليل، (دار الفرقان - عمان 1215 هـ / 1994م)، ص33.

⁸⁷ الرازي: مفاتيح الغيب 250/8

⁸⁸ ابي بكر الرازي، مختار الصحاح 254/1.

⁸⁹ عبد الكريم الخطيب، (ت: 1900م)، القصص القرآني في منطقته ومفهومه، (دار المعرفة بيروت لبنان، 1395 هـ / 1976م)، ج 1 ص40.

والواضح من القصص: في قلب القرآن الكريم تنسجم قصص الأنبياء بأسلوب ممتع وجميل كألوان متعددة في لوحة فنية، تأخذنا في رحلة عبر الزمن، تروي لنا حكايات الأمم السابقة وأنبيائهم هي مرآة الحياة، تحمل في طياتها العبر والمواظ لأجيالنا، مثلاً في قصة آدم نرى الخلق والنزول إلى الأرض، وفي قصة نوح نشهد الصبر والدعوة المستمرة، وفي قصة عيسى تلمس العجائب والشفاء، بينما قصة موسى تحمل في طياتها الصبر والتحديات، وداود وسليمان يأتیان بالحكمة والعدل، ولقمان يعلمنا الحكمة والتوجيه، ومن بين هذه تبرز قصة "ذي القرنين" الذي سافر في رحلة أستكشافية وواجه العجائب والأمم المختلفة، هذه القصص تحمل في طياتها الإلهام والتأمل، وتجعلنا نتسأل عن معاني الحياة والوجود.

وفي النهاية قصص القرآن الكريم ليست مجرد حكايات بل هي دروس وعبر نستتير بها دربنا في هذه الحياة، ومن بين هذه التعريفات التي ذكرتها آنفاً تبين للباحث ان القصة، هي متابعة للقرآن الكريم وما يسرده من أحداث ومشاهد تتكلم عن الأمم السابقة وأنبيائهم التي تحتوي في طياتها العبر والمواظ لأقوامهم، بالأسلوب الشيق والجميل.

المبحث الثاني: أنواع القصص القرآني

من خلال تتبع القصص القرآني، قام العلماء والباحثون بتقسيمها الى أنواع مختلفة استناداً إلى معايير متعددة، بعضهم قسم القصص حسب طولها أو قصرها، في حين قسم آخرون القصص استناداً إلى الشخصية الرئيسية في كل قصة، هناك أيضاً تصنيف حسب نوع الحوار وشكله وموضوعه، يعد هذا التصنيف مهماً لفهم أعمق للقصص المذكورة في القرآن الكريم. ومن هذه التقسيمات

أولاً: قصص الأنبياء: وهي تتضمن دعوتهم والمعجزات التي أيدها الله لهم الى قومهم، وموقف الماعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذابين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين جميعاً أفضل الصلاة والسلام⁹⁰.

⁹⁰ القاضي الشيخ مناع بن خليل القطان، (ت: 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، (مكتبة المعارف ط: 3 1421هـ - 2000م)، ص317.

ثانياً: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وابني آدم، وطالوت وجالوت، وأهل الكهف، وذو القرنين، وأصحاب السبت، وقارون، وأصحاب الفيل، ومريم، وأصحاب الأخدود ونحوهم⁹¹.

ثالثاً: قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول ﷺ، مثل غزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة تبوك وحنين في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة والإسراء، ونحو ذلك⁹².

المبحث الثالث: أهداف القصص القرآني

أهداف القصة متعددة، منها ما يتجه نحو العبادة والتحسين، ومنها ما يتجه نحو الأخلاق لأختيار المكارم والأبتعاد عن السوء، ومنها ما يتجه نحو التنفير من الكفر والمعصية اياً كانت، ويمكن تلخيص أهداف القصة كما يلي:

اولاً: إيضاح أسس الدعوى الى الله تعالى، وذلك في بيان أصول الشرائع التي بعث الله بها كل نبي من الأنبياء المرسلين"، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء]⁹³.

ثانياً: تصديق الأنبياء وإحياء لذكراهم وتخليد لذكراهم.

ثالثاً: إظهار صدق النبي محمد ﷺ، في دعوته بما أخبر به عن أحوال الأمم عبر القرون والأجيال السابقة الغابرة.

91 مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص317.

92 مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ص317.

93 محمد أحمد محمد معبد، (ت: 1430هـ)، نفحات من علوم القرآن، ن: (دار السلام القاهرة، ط2 1426هـ / 2005م)، ص107.

رابعاً: تثبت لقلب النبي محمد ﷺ والمؤمنين معه على دين الله تعالى، وتقوية المؤمنين وثقتهم بنصرة الحق وجنده وخذلان الباطل وأهله⁹⁴، قال تعالى ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة هود: آية 120].

خامساً: معارضة أهل الكتاب بالحجج القوية، فيما كتموه من البينات والهدى، من بعد ما بينه الله تعالى لهم وتحديه لهم بما كان في كتبهم، كما حكى القرآن الكريم عنهم قال تعالى ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: آية 93]، ويعتبر القصص ضرب من ضروب الأدب ، ويعتبر نوع من أنواع العبر، يصغي اليه السمع وترسخ عبره في النفوس البشرية⁹⁵، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف: آية 111].

سادساً: التصويب الى منهج الأدب والسلوك، من أجل الدفع الى حياة إيجابية بهمة وعزم.

سابعاً: يشجع المؤمن ويرغبه بالتأييد بالدنيا والنعيم المقيم له في الآخرة، ويحذر من غضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة للجاحد العاصي⁹⁶.

94 محمد معبد، *نفحات من علوم القرآن* ص107.

95 محمد معبد، *نفحات في علوم القرآن* ص108.

96 مريم عبد القادر السباعي، *القصة في القرآن الكريم*، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، (جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1405هـ) ص30.

المبحث الرابع: منهج القصص القرآني

القصص القرآنية منهجها تحقيق هدف ديني معين، لذلك يكون أسلوبها بطريقة تتوافق مع الهدف، ومن أبرز التي تميز بها منهج القصص هي اخضاع القصة لغرض ديني كالتالي:

أولاً: الأقتصار على الغرض الديني

القصص القرآنية لا تظهر كلها في القرآن الكريم في مرة واحدة، بل تتمثل في الجزء الذي يتوافق مع الهدف الذي تم تقديم القصة من أجله، بعيداً عن الأمور التي لا يكون للمعرفة بها فائدة ولا يكون الجهل بها ضاراً، وفي بعض الأحيان تظهر القصة من بدايتها، وفي أحيان أخرى من منتصفها، وفي أحيان من نهايتها؛ حسب مكان العبرة في هذا الجزء أو ذاك، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الهدف الديني هو الأساس في تقديم القصة، فقصة نبينا إبراهيم عليه السلام ظهرت في حوالي عشرين موضعاً، ثم يكون آخر موضع تظهر فيه هو سورة الحج، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [سورة الحج: آية 26]، يذكر تعالى عظمة البيت الحرام وجلالته وعظمة بانيه، وهو خليل الرحمن، فقال ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ هيأناه له، وأنزلناه إياه، وجعل قسماً من ذريته من سكانه، وأمره الله ببنيانه، فبناه على تقوى الله، وأسس على طاعة الله، وبناه هو وابنه إسماعيل، وأمره أن لا يشرك به شيئاً، بأن يخلص لله أعماله، ويبنيه على اسم الله وطهر بيته أي من الشرك والمعاصي، ومن الأنجاس والأدناس وأضافه الرحمن إلى نفسه، لشرفه، وفضله، ولتعظم محبته في القلوب، وتنصب إليه الأفئدة من كل جانب، وليكون أعظم لتطهيره وتعظيمه، لكونه بيت الرب للطائفين به والعاكفين عنده، المقيمين لعبادة من العبادات من ذكر، وقراءة، وتعلم علم وتعليمه، وغير ذلك من أنواع القرب، والركع السجود، أي المصلين، أي طهره لهؤلاء الفضلاء، الذين همهم طاعة مولاهم وخدمته، والتقرب إليه عند بيته، فهؤلاء لهم الحق، ولهم الإكرام، ومن إكرامهم تطهير البيت لأجلهم، ويدخل في تطهيره، تطهيره من الأصوات اللاغية والمرتفعة التي تشوش المتعبدين، بالصلاة والطواف، وقدم الطواف على الاعتكاف

والصلاة، لاختصاصه بهذا البيت، ثم الاعتكاف، لاختصاصه بجنس المساجد وفي هذه السورة مانلاحظه هو الربط بين الآيات والمشهد وهذه هو المقصد من الغرض الديني هنا⁹⁷.

ثانياً: أشتماله على العبر والعظات

في ثنايا القصة يكون الإعلان عن التوجيهات والعظات المستخرجة منها ويكون ذلك أما قبلها أو في خاتمتها وهذا يعد من منهج القصة في القرآن الكريم، ونرى ذلك في قصة نبينا يوسف عليه السلام في تفسيره الرؤيا لخدامان الملك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة يوسف: آية 37، 38]، في تفسير الرؤى ضمن مجموعة من العبر والعظات⁹⁸.

المبحث الخامس: خصائص القصص القرآني

إن القصة في القرآن تقوم على أسس وخصائص فنية رائعة، فهي تحقق الغرض الديني عن جمالها الفني، الذي يجعل ورودها في النفس أيسر، وأعمق وقعها في الوجدان. وأهم هذه الخصائص كالتالي:

أولاً: العرض التصويري: "إن القرآن الكريم عندما يأتي بالقصة لا يخبر بها أخباراً مجرداً، بل يعرضها بأسلوب تصويري يتناول بها جميع المشاهد والمناظر المعروضة، فإذا بالقصة هي عبارة عن مجموعة من حوادث تقع ومشهد يجري، لا قصة تروى ولا حادثاً قد مضى"⁹⁹.

قصص القرآن ألوان وامثله: "والتصوير في مشاهد القصة القرآنية تبدو في قوة العرض والإحياء وفي تخيل العواطف والأنفعالات، كما تبدو في رسم الشخصيات، وهذه الألوان ظاهرة في مشاهد القصص

⁹⁷ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللو يحق، ن: (مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: 1 1420هـ 2000م)، ص537.

⁹⁸ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1385هـ)، التصوير الفني في القرآن، (دار الشروق، مصر، ط: الطبقة الشرعية) 17/ ص155، 162-168.

⁹⁹ مصطفى ديب البغي محي الدين بغى مستو، الواضح في علوم القرآن، ن: (دار الكلم الطيب دار العلوم، دمشق، ط: 2 1418هـ / 1998م)، ص190.

وابنه فی الطوفان" 100

فكلها قصص يبرز فيها تصوير الشخصيات ورسمها بأدق مايكون من رسم وتصوير¹⁰¹.

فيه مشاهد قصة أصحاب الكهف كما يلي:

إِلَّا اللَّهَ فَأَوْزُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا ﴿١٣﴾ [الكهف: 13، 16].¹⁰²

نَفُؤُوا مَا كَانُوا عَازِمِينَ عَلَيْهِ وَكَأَنَّا نَرَاهُمْ بِأَعْيُنِنَا يَقِينًا" ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ

¹⁰⁰ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن 155/17-162.

101 مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن ص 191.

102 مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن ص192.

كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّ اللَّهَ فَهَوَ الْمُهِتَدِ وَمَنْ يُّضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا [الكهف: 17، 18].¹⁰³

المشهد الثالث: " في هذا المشهد يعطي الصورة الكاملة بكل ماتحتوي من مخاوف، وخلجات نفسية، وثقة وأيمان وأخذ الأسباب من اجل النجاة"، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ ؕ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا [الكهف: 19، 20].¹⁰⁴

المشهد الرابع: هنا يعرض لنا الطريقة التي اكتشف بها حالهم، وكيف تغيرو من الكفر الى الإيمان، وبالتالي أصبحوا حديث الناس وموضوع اهتمامهم وجدلهم ونقاشهم على مر الأزمان¹⁰⁵، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَغَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا [الكهف: 21، 22].

¹⁰³ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن 163 / 17.

¹⁰⁴ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن 156 / 47.

¹⁰⁵ مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن ص 192.

ثم تأتي هنا المناسبة للتوجيه في ثنايا القصة وأعقابها، على طريقة القرآن في قصصه¹⁰⁶، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءِ إِيَّيَّ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادُّرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّيَ لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: 23، 27].

ثانياً: التنويع في الاستهلال بالقصة ووضع مدخل لها

من الخصائص الفنية المميزة للقصة القرآنية هو تعدد أساليب العرض في بداية القصة، والعنصر المثير للإثارة والتشويق هو جوهر القصة، ويجب أن يظهر بأكثر الطرق روعة في بدايتها، لكي يجذب القارئ إلى متابعة أحداثها، ويفتح أفق ذهنه وجوانب شخصيته لاستكشاف أهدافها وغاياتها، ومن أهم مظاهر براعة الاستهلال التي تظهر في القصة القرآنية هي:

1- البدأة بمشهد غريب يجذب الانتباه ويلفت النظر فيها، حتى لو كان هذا المشهد يظهر متأخراً في سلسلة الأحداث، لأن المشهد الغريب يمكن أن يثير الفضول ويفتح الذهن للقصة، وتهيأ القارئ، على مافيه من بيان واستدراك وذلك جمال العرض بشكل متناسق ومتساو.¹⁰⁷

ومثال على ذلك قصة نبينا موسى عليه السلام في سورة طه، حيث افتتحت هذه السورة في هذا المشهد قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: 9، 10]، ثم بعدها يعود الى السياق بعد هذه البدأة ليستدرك جوانب

القصة ومشاهدها.¹⁰⁸

¹⁰⁶ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن 156/47.

¹⁰⁷ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن 157/47.

¹⁰⁸ مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن ص 193.

2- تقديم للقصة خلاصة عنها، وذلك يكون بانتزاع من مشاهد القصة أهم العبر والمظاهر التي فيها، فيصاغ بشكل تجعل من الخلاصة مدخل للقصة وبداية، ثم بعد هذا المدخل تعرض التفاصيل، وهذا يعتبر مظهر من مظاهر التشويق، التي تضع للقارئ صورة مختصرة عن القصة في مخيلته، وثم تبعث في داخله الرغبة الى معرفة جوانبها والتوسع فيها، ومثال ذلك قصة أصحاب الكهف وكيف بدئت بتلك الخلاصة، قال تعالى ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرْبَنَا عَلَى عَاقِبَتِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: 9، 12].

3- ومن خصائصه الاستهلال بذكر الأسباب والنتائج ومايكشف من القصة من مغزى وكمة الأحداث التي فيها، فتنجسد العبرة التي ينبغي أن تأخذ منها، وتتشوق النفس لفهم كيفية تحقيق الهدف والطريقة التي تتحقق بها الغاية المرسومة، عند بدأ سرد القصة، يكون القارئ متنبهاً ومتأهباً للدروس المستفادة منها، وذلك ماجاء في قصة نبينا موسى عليه السلام مع فرعون في سورة القصص قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْخِجُ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 4، 6].¹⁰⁹

4- تقديم القصة مباشرة من دون مقدمة أو تلخيص، مع التركيز على المفاجآت الخاصة التي تحملها القصة، مثل قصة عيسى عليهما السلام من أمه مريم، وقصة نبينا سليمان عليه السلام مع بلقيس، وهناك العديد من القصص الأخرى.

¹⁰⁹ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن 47 / 157.

5- العرض التمثيلي هو نوع من العروض يركز على تسليط الضوء على المشاهد الرئيسية والحلقات الأساسية في القصة، بطريقة واضحة ومباشرة، يترك هذا النوع من العروض فجوات بين كل مشهد والآخر، مما يتيح للقارئ أو المشاهد الفرصة لملء هذه الفجوات، بالروابط الخاصة بهم وتوسيع خيالهم، وهذا ما يعزز التفاعل والأستمتاع بالقصة، حيث يمكن للقارئ بناء الجسور بين المشاهد السابقة واللاحقة¹¹⁰، وهذه الطريقة من العرض تعتبر سمة بارزة في القصص القرآني، حيث يمكنها أن تمنح القصة قيمة فنية، وتضفي عليها حيوي وتنبعث فيها الحياة، بينما تقل هذه القيمة وتضعف كلما أنشغل الذهن بعرض تلك الروابط البديهية، والتفاصيل التي غالباً ماتمل النفوس سماع الحديث عنها¹¹¹.

ومثال على ذلك قصة نبينا نوح التي وردت في سورة هود عليهما السلام ، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخَطِّبْ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [نوح: 36، 38]، تقدم لنا القصة صورة نبينا نوح عليه السلام، وهو يتلقى الوحي الإلهي الذي يجعله يفقد الأمل في إيمان شعبه، ويعلمه بقرب حلول العقاب على قومه ويأمره بصنع السفينة، التي ستكون وسيلة النجاة لنبينا نوح عليه السلام والمؤمنين معه، ثم يغطي الستار على المشهد ليكشف مرة أخرى عن نبينا نوح عليه السلام، وهو يشرع ببناء السفينة بكل حماس تنفيذاً لأمر الله تعالى، بينما يستهزئ ويسخر من حوله قومه الهلكى، الفجوة التي تركها العرض بين المشهدين تملأ بالأحداث التي يجب أن تحدث، من العزم على البناء وجمع المواد الأولية، ولكنه تم تجاهلها لكي لا تفسد العرض الفني للقصة بذكرها¹¹².

¹¹⁰ مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن ص195.

¹¹¹ مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن ص196.

¹¹² مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن ص197.

ومن المشاهد للقصة التي تعرضها في قصة مريم العذراء البتول عليها السلام، حيث جاءها الروح القدس بصورة بشرية وقال لها: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾، وتجب عليه بأستغراب قالت: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، ويخبرها بأن ذلك فعل الذي لا يعجزه شئ وهو الله عز وجل ويطلعها على الحكمة من ذلك: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلَنَجْعَلَنَّ عَائِيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾، ثم يسدل الستار ليرتفع مرة أخرى عن مشهد هذه العذراء مرة أخرى وهي تحمل ثقل حملها، تنسحب بعيداً عن الناس وهي مليئة بالخوف والقلق، وفجأة تجبرها آلام الولادة، على الاستقرار تحت جذع نخلة حيث تلد النور والهداية للبشرية التي كانت ضائعة في ذلك الجيل، قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّوَدَّيًّا﴾ [مريم: 22، 23]، ما يلاحظ بين المشهدين فجوة فنية واسعة، تترك مجالاً مفتوحاً للخيال لتصورها كيفما يرغب.¹¹³

المبحث السادس: مقاصد القصص القرآني

القرآن العظيم لا يروي القصص للإشارة إلى التأريخ فحسب، بل يهدف إلى تقديم العبر والدروس، لا يقصد القرآن العظيم بتصوير الأحداث التاريخية للإشارة إلى حالات الأمم السابقة، أو للترفيه وجذب الأستماع فقط، بل يجمع أهدافاً نبيلة تركز على تعزيز الإيمان وتأسيس مبادئه في القلوب، القرآن العظيم يقدم القصة في سياقاتها بأساليب متنوعة وصور متشابهة، ولكل منها معنى خاص لا يمكن تحقيقه إلا بها وهدف خاص لا يمكن الوصول إليه إلا بها، القصص ليست عملاً فنياً يهدف إلى الذات، بل هي وسيلة للإيمان والتوجيه وتوضيح الأوامر والنواهي الشرعية¹¹⁴.

¹¹³ مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن ص 197.

¹¹⁴ رسالة ماجستير، محمود السيد حسن مصطفى، الأعجاز اللغوي في القصة القرآنية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، مؤسسة الشباب الجامعة ط: 1 (1981)، ص 61.

أن القصص القرآني يتميز بتنوعه الكبير، حيث تتوزع مقاصده على القصص بناء على موضوعها وسياقها، وهي مقاصد كبيرة لا يمكن حصرها جميعاً، ولكن سأحدث عن الأهم منها بشكل موجز، ليتبين لنا بأن القصص القرآني لم ياتي بشكل عشوائي، وإنما جاء لمقاصد عظيمة من هذه المقاصد كالتالي:

1- الوجدانية لله تعالى عز وجل وإثباتها والامر بعبادته

دعوة جميع الأنبياء والمرسلين هي وجدانية الله تعالى والدعوة إلى عبادته بأساليب متعددة، هذا هو المقصد الرئيسي من القصص القرآني، وهو لإبرار حقيقة التوحيد ونقض الشرك والوثنية، وهذه دعوة جميع الرسل والأنبياء إلى توحيد الخالق، والأعتراف بوجدانيته لأرب غيره ولا معبود سواه، لذا كانت جميع دعواتهم جميعاً تتمحور حول التوحيد،¹¹⁵ ومن الأدلة على ذلك ما قصه القرآن العظيم عن تدرج نبينا إبراهيم عليه السلام في الاستدلال على الحقيقة الإلهية والإيمان بالوجدانية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 74، 79].

وكذلك ماجاء على لسان نبينا يعقوب عليه السلام) وبنيه في إثبات التوحيد قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]¹¹⁶، وما جاء على لسان نبينا نوح عليه السلام قال

¹¹⁵ محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآن، ص 61.

¹¹⁶ الرازي، مفاتيح الغيب 64/4.

تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، وما جاء على لسان نبينا هود عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَلنَّاطِلُونَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ [الأعراف: 65].

وما جاء على نبينا صالح عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [الأعراف: 73]، وعلى لسان نبينا شعيب عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشَاءَهُمْ وَلَا تُمْسِكُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85]، وكذلك ما جاء في قصة نبيا سليمان عليه السلام قال تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: 24، 25]، وفي قصة نبينا موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14].¹¹⁷

وما جاء في قصة نبينا يوسف عليه السلام من وضوح في الدعوى على التوحيد قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا

¹¹⁷ د عبد الله محمد النقرات، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، (دار قتيبة دمشق بيروت، 1424هـ)، 2 / 868.

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعَتْ مَلَّةَ آبَائِهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ الى قوله تعالى: ﴿٣٨﴾ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ [يوسف: 37، 40]،
فقد صرح نبينا يوسف عليه السلام بانه لم يبتدع ديناً جديداً، وإنما سار على آبائه واجداده الذين هداهم الله الى العقيدة الصحيحة، وهي توحيد الله وهذه العقيدة لا تتغير مع مرور الزمن، فلا يمكن أن هناك تناقض بالعقيدة بين رسول ورسول آخر التي يوحي الله بها إلى أنبيائه، لذا توحيد الله هي دعوة أكد عليها جميع الأنبياء.¹¹⁸

مما سبق يتبين لنا ان جميع الرسل توحدو في دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى، لكن لكل واحد منهم أسلوب مختلف بعد هذه الدعوة، نبينا نوح عليه السلام كان يخشى على شعبه من عذاب الله العظيم إذا عصوه وخالفوا أمره، ونبينا هود عليه السلام طلب من شعبه أن يتقوا الله لأنه ليس لهم إله سواه، ونبينا صالح عليه السلام بين لشعبه انه قد جانتهم دليل واضح وعلامة بينة، ناقة الله وطلب منهم ان يتركوها تأكل في أرض الله ولا يمسوها بسوء، خوفاً من العذاب الأليم، وهكذا يتضح جلياً في رد كل قوم على رسولهم، فقد اتهم شعب نبينا نوح بالضلال المبين، واتهم شعب نبينا هود بالسفاهة والكذب، وشكك شعب نبينا صالح في رسالته.¹¹⁹

2- إثبات الوحي والرسالة

إن القصص الواردة في القرآن إشارة على الغيب والمجهول، لا يعرفه النبي ﷺ ولا قومه، وهذا يعتبر دليلاً على صدق الرسالة وإثبات الوحي، وهذه الإشارة تأتي أحياناً في نهاية القصص المذكورة، على سبيل المثال عقب قصة نبينا نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49]، وتعقيباً على قصة نبينا موسى

¹¹⁸ د عبد الله محمد النقرات، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 868/2.

¹¹⁹ محمد عبد العظيم الزرقاني، (ت: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، (عيسى البابي الحلبي ط: 3)، 333/2

عليه السلام قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 44، 46]، تشير هذه القصص بدلالة واضحة إلى نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم¹²⁰، فقد كان أمياً لم يقرأ كتاباً ولم يتتلمذ على يد أستاذ، ولا يوجد تناقض أو اختلاف في هذه القصص، مما يدل على أنها وحي من الله تعالى وتؤكد صحة نبوته ﷺ¹²¹.

وجاء في بعض مقدمات القصص مايفيد على إثبات الوحي والرسالة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [ريوسف: 2، 3]، وهذه القصص القرآنية لم معروفة إلا لأولئك الذين شهدوها، والنبي محمد ﷺ لم حاضراً لهذه الأحداث الحقيقية الصادقة، كما في عقب قصة مريم (عليها السلام) قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [مريم: 44]، من قصص الأنبياء قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: 192، 194]، وهذا النص الصريح يدل على أن هذه القصص هي من عند الله ووحيه وتنزيله¹²².

3- اثبات البعث والجزاء

¹²⁰ محمد عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، 333/2.
¹²¹ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت: 310هـ)، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار الهجرة، القاهرة مصر، ط: 1 1422هـ/2001م)، 140/14.
¹²² عبد الله النقراط، *بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم* 896/2.

في سياق القصص القرآني كثيراً مايرد سياق البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ الى قوله تعالى: ﴿قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 258، 260]، وكما جاء على لسان نبينا نوح (عليه السلام) قال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح : 4]، في هذا السياق ترد الكثير من الأدلة في القصص القرآني على أثبات البعث والجزاء، فيصرفها في أساليب مختلفة وطرائق متعددة ليحقق الأيمان بذلك اليوم.¹²³

4- تثبيت النبي محمد ﷺ وأمته

أن من أعظم مقاصد القصص القرآني هو تثبيت النبي محمد ﷺ وأمته بالالتزام بالدعوة الى الحق، وتحمل الصعوبات والمشاق التي فيها، والصبر على العذاب في سبيلها، وبذلك يتعزز ثقة المؤمنين بأن الحق منتصر وأن الباطل واهله مخذولون، ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]، وما جاء في هذه السورة من ذكر أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جاء فيها ذكر الحكمة، قال تعالى ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]، أي قلبك يجب ان يكون مطمئناً وثابت، وان تكون صبوراً كما صبروا أولي العزم من الرسل، والنفس تشعر بالراحة عندما تقتدي بالآخرين وتصبح نشطة في الأعمال وترغب في التنافس مع الآخرين، ويتأيد الحق بذكر شواهد

123 د عبد الله النقرات، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 2/ 899.

وكثرة من قام به، خاصة عندما كانوا مضطهدين ويعانون في مكة، وهذه القصص تكشف لهم عن نهاية الطريق وتظهر لهم معالم الطريق في جميع مراحلها، وتأخذهم بأيديهم.¹²⁴

5- العبرة بأحوال المرسلين وأممهم

المراد بهذه العبرة هو تحفيز الناس وجعلهم يتأملون في حياة الأنبياء والرسل، والأقتداء بهم في تحمل الصبر والأذى وكيفية نشر الدعوة والصبر عليها، والتأكيد على قوة إيمانهم والاحتفاء بآثارهم، والأشارة إلى فضلهم ومكانتهم عند الله تعالى، والتأكيد على تجنب التصرفات التي كان يتبعها الأمم السابقة¹²⁵، التي كانت تعارض تعاليم الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ

مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:

111] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَاصْبِرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنتَهُم نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ

لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34].

لذلك فإن الله تعالى يروي في هذا القصص، أن نتيجة سلوك المنكرين كانت الكفر واللعن في الدنيا والآخرة، بينما كانت نتيجة سلوك المؤمنين هي النصر في الدنيا والسعادة في الآخرة، هذا الأمر يعزز قلوب أهل الإيمان ويضعف قلوب أعدائهم، العبرة المستخلصة من هذا القصص لها فوائد عظيمة، أهمها التأكيد على سنن الله تعالى في حياة الناس، الله تعالى نبه على هذا في مواضع عدة في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: 13]، هذه الآية تأتي في سياق الحديث عن الذين يتجنبون الحق الذين لا ينظرون في أدلته بسبب أنغماسهم في ترفهم وسرفهم، وجحودهم والتمسك بعباداتهم وتقاليدهم.

¹²⁴ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت: 1376)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة ط: 1 1420 هـ / 2000 م)، 1 / 324.

¹²⁵ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن 47 / 160.

قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سُبَّتَ اللَّهُ إِلَيْهِ قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾

[غافر: 85]، هذه الآية تأتي في سياق الحوار مع الكافرين، مع التذكير بتجاربهم مع الأنبياء، والدعوة للتجول في الأرض والنظر في مصير الأمم القوية التي تركت آثارها في الأرض وكيف قد أنقضوا بعد أن تمت دعوتهم إلى الحق، ولكنهم رفضوا الاستجابة لأمر الله، وفي هذا السياق قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: 10، 11]، هذا يعني إذا كنتم تشككون أو تترددون فعليكم

السير في الأرض، ثم النظر لتروا كانت نهاية المكذبين، ستجدونهم لم يكونوا سوى أمم مدمرة، وانهم أصبحوا في النهاية سوى ذكرى، ومنازلهم أصبحت مهجورة، وربوعهم وبيوتهم في المرتفعات الذين كانوا يعيشون في الترف، أبادهم الملك الجبار وأصبحت قصصهم لعبرة لأولي الألباب، وهذا السير المأمور به هو سير القلوب والأجساد، الذي يولد منه الاعتبار واما النظر بدون اعتبار فهو لايفيد بشئ.¹²⁶

6- بيان جزاء الأمم السابقة وبيان مصيرها

المنكرين للرسالات والرسول ينتشبهون في موقفهم، فقد كذبوا كل رسول جاء إليهم فقد قال قوم نوح له قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الاعراف: 60]، وقوم هود قالوا له قال تعالى:

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ [الاعراف : 66]، وقال

قوم صالح للمؤمنين به قال تعالى: ﴿إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الاعراف: 76]، وقال قوم لوط قال

تعالى: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [الاعراف: 82]، وقال قوم فرعون في حق موسى

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الاعراف: 109]، هذه الأمم التي لم تتبع

دعوة الأنبياء والمرسلين أصابها الهلاك والدمار بسبب انحرافها عن الطريق المستقيم، فقد قال الله تعالى:

¹²⁶ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 9/2.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِّنْ لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخِرِينَ﴾ [الانعام: 6]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: 9].¹²⁷

ومن أسباب هلاكهم كما مر بنا سابقاً: الإشراف بالله تعالى والظلم والطغيان، والتكذيب بالبعث والجزاء والتقليد الأعمى والتهديد للمؤمنين وإيذاؤهم إلى غير ذلك من الأسباب، يجب على المسلمين أن يعتبروا بأحوال هذه الأمم، ويتعدوا عن أفعالها وأقوالها حتى لا يصيبهم ما أصابهم من الهلاك والدمار، وقد بين الله تعالى في كثير من قصص القرآن أنه انتقم لأوليلته من أعدائه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾.¹²⁸

7- تربية المؤمنين:

القصص القرآني يهدف إلى تربية المسلمين بطريقة صحيحة وشاملة، ومن أبرز هذه الأهداف هو التربية على العقيدة الصحيحة، وهي الإيمان بالله والإيمان بالبعث والجزاء والإيمان بالأنبياء والرسل، والصبر على أذى الكافرين وتجاهلهم للحق حتى يظهر الله الحق ويهلك أعدائه، مثلاً في قصة السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام، فرعون قضى عليهم بالصلب والقتل، لكنهم ثبتوا على عقيدتهم رغم فظاعة

¹²⁷ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 9/2.
¹²⁸ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 913/2.

التهديد، وفي قصة أصحاب الكهف هناك تربية على الثبات على التوحيد، والإيمان بالبعث والجزاء، التربية في القصص القرآني شاملة للأنبياء والرسل وأتباعهم المؤمنين.¹²⁹

ومن التربية التي وردت في الأنبياء قوله تعالى لإبراهيم الخليل عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 131]، قال أبو السعود رحمه الله "أسلم: أي أذعن وأطع وقبلا أثبت ما أنت عليه من الإسلام والإخلاص أو استقم وفوض أمرك إلى الله تعالى".¹³⁰

ومن أنواع التربية في القصص القرآني، التربية على الصبر والبر وامتثال أوامر الله تعالى، كما في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَابَرِهِيْمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: 101، 105].

وفي قصة لقمان مع ابنه، هناك العديد من الفضائل التربوية النبيلة، مثل التوحيد والنهي عن الشرك بالله والبر بالوالدين، وشكر الله والوالدين، والبعث والجزاء والأمر بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على المصيبة، والحظر من إمالة الخد بغرور أو كبرياء، والنهي عن المشي بطريقة مرحة غير مناسبة، وتبيين الآيات على المشي بطريقة معتدلة وغيض الصوت، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 11، 12].

8- بيان قدرة الله المطلقة:

¹²⁹ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن 163/47.

¹³⁰ محمد بن محمد بن مصطفى أبي السعود (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (دار أحياء التراث العربي، بيروت)، 1/ 163.

هذا المقصد يوضح لنا الفرق الكبير في المحتوى بين القصص القرآني والقصص البشري، هل توجد قصص بشرية تروي ما حكاها الله تعالى عن الشخص الذي مر على قرية وهي خراب¹³¹، قال تعالى: ﴿أَوِ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259]، هل توجد في القصص البشرية قصة مشابهة لخلق آدم، أو إعادة الحياة للطير بواسطة إبراهيم، أو تحول عصا موسى، أو قصة موسى العبد الصالح وغيرها.

القصص القرآني التي تتضمن الخوارق والمعجزات تأتي لتشير إلى القدرة الكاملة لله تعالى، قدرة لا يمكن لأي مخلوق في الكون ان يتقنها، كما يشير القرآن إلى الفرق بين الرؤية الإنسانية العاجلة والقصيرة الأمد، وبين الحكمة الإلهية الكاملة التي تغطي الماضي والحاضر والمستقبل.¹³²

المبحث السابع: الحكمة من تكرار القصص القرآني

عندما يتأمل الإنسان في آيات القرآن الكريم، يلاحظ أن الله عز وجل قد أعاد ذكر العديد من الأنبياء في مواضع متعددة، مثل قصة النبي موسى عليه السلام التي تم ذكرها في العديد من سور القرآن الكريم مثل البقرة والمائدة والأعراف ويونس وهود وطه والقصص والشعراء والنمل وغانغ والنازعات، ويلاحظ أيضاً ان بعض الآيات قد تكررت لأهداف معينة في الآية.

والحقيقة أن تكرار القصص في القرآن الكريم ليس تكراراً حرفياً للقصة بكل آياتها وعبارتها، بل هو إعادة ذكر جانب أو أكثر من القصة في موضع معين لسبب معين، وإعادة ذكر جانب أو أكثر في موضع آخر لسبب آخر، وهذه الجوانب تختلف وتتباين بعضها عن بعض، وبمعنى آخر عندما تقرأ القصة

¹³¹ محمد محمود خير العدوي، معالم القصة في القرآن الكريم، ن: (دار العدوي - عمان - الأردن، ط: 1 1408هـ، 1988م) ص45.

¹³² محمد خير محمود العدوي (ت: 1201)، معالم القصة في القرآن الكريم، (دار العدوي عمان، الاردن ط1 1408هـ / 1988م)، ص45.

في موضع معين ستجد أنك تقرأ في الموضع الآخر جانباً لم يتم ذكره في الموضع الأول، وهذا يكمل الصورة العامة التي يقررها القرآن في قصصه.

القرآن الكريم يستخدم التكرار في القصص بطريقة فنية ونفسية، من الناحية الفنية يتجدد الأسلوب في كل مرة يتم فيها سرد القصة، مع التغيير في الإيجاز والإطناب والتنوع في اللفظ والمعنى، ومن الناحية النفسية يترسخ المكرر في الجزء الشعوري من العقل، الذي يشكل أساس الأفعال والدوافع البشرية وفقاً لما هو معروف في علم النفس، وهذا ما يجعل القصص في القرآن الكريم أكثر تأثيراً في النفوس.¹³³

أن التكرار في قصص القرآن ليس مجرد ترديد، بل هو هو تجديد للمعاني، الترديد هو التكرار بدون هدف أو للتأكيد فقط، بينما التجديد في التكرار له هدف معين لا يمكن تحقيقه إلا من خلاله.¹³⁴

يشير السيوطي رحمه الله في كتابه الإتقان إلى أن التكرار يعتبر أبلغ من التأكيد وهو جزء من جمال الفصاحة، وفائدة التكرار في تثبيت المعلومات¹³⁵، وقد قيل إذا الكلام تكرر تقرر، نبه الله سبحانه وتعالى إلى السبب الذي يجعله يكرر القصص في القرآن والإنذار قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: 113]، أي التكرار في قصص القرآن

الكريم أثارت اهتمام العلماء وحفزت أذهانهم لاكتشاف أسرارها والأسباب وراءها.

وفي كتاب "إعجاز القرآن"، يشير أبو بكر الباقلاني إلى أنه من الإعجاز أن يتم تكرار نفس الموضوع بأساليب متنوعة فيما يتعلق بالطول والقصر والإجمال والتفصيل، مع الحفاظ على جوهره وأساسه، يشدد أن هذا ليس من الأمور البسيطة التي يمكن للبشر القيام بها، إلا صاحب القرآن الحكيم الله سبحانه وتعالى، الله تحدى العرب بهذا ووسع عليهم مجال المعارضة والمحاكاة، ولكنهم عجزوا عن

¹³³ التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، (الشركة التونسية للتوزيع، تونس ط1 1974م)، ص115.

¹³⁴ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد أبي زهرة (ت: 1394هـ)، المعجزة الكبرى القرآن، (دار الفكر العربي)، ص194.

¹³⁵ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ / 1974م)، 62/1.

معارضته أو اتیان بشيء يشبهه أو يقترب منه، وكما يقول الباقلاني، "إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي إلى معنى واحد هو أمر صعب يظهر فيه البلاغة والفصاحة".¹³⁶

ثم يتحدث رحمه الله قائلاً "أن تكرار العديد من القصص في أماكن متنوعة وبترتيبات مختلفة، وهذا يلفت انتباه العرب الى عجزهم عن اتیان شيء مشابه له، سواء كان ذلك في البداية أو في التكرار".¹³⁷ وفي كتاب "البرهان في علوم القرآن" أوضح الإمام الزركشي السبب وراء التكرار في قصص القرآن، إلى ان القصة عندما تتكرر، فإنها تتكرر للإشارة إلى فائدة لم يتم ذكرها في الموضع السابق، كما أشار إلى العوامل التي تجعل القصة تتكرر في القرآن الكريم".¹³⁸

ويشير مصطفى صادق الرافعي على بعض هذه الأسرار: حيث يتحدث عن التكرار في القرآن الكريم، يقول أن التكرار في بعض آيات القرآن تتميز بتنوع طرق الأداء، رغم أن الأصل المعنوي واحد في العبارات المتنوعة، يمكن أن يكون هذا التكرار في بعض القصص لتأكيد الزجر والوعيد، ولتوسيع نطاق الموعظة وتثبيت الحجة وما إلى ذلك، أو يمكن أن يكون في بعض العبارات لتأكيد النعمة، وتكرار المنة، والتذكير بالمنعم والدعوة لشكره ومايتبع ذلك من الأمور.¹³⁹

وعلى هذا الأساس يمكننا فهم السبب وراء تكرار القصص في القرآن والفوائد المترتبة على ذلك فيما يلي:

1- التحدي والإعجاز يتجلى في القدرة على التلاعب بالبلاغة بأعلى مستوياتها، فكل قصة عندما تتكرر تتغير ألفاظها بزيادة أو نقصان وتتقدم أو تتأخر، في مواضع متنوعة وبأسلوب مختلف عن الآخر، لو سلك القرآن الكريم نهجاً واحداً في سرد القصص، لأدعى الكفار انهم يستطيعون تقديم شيء مختلف، لكن الله قطع عليهم كل طريق للاعتراض، حيث ذكر في القرآن انواعاً

¹³⁶ ابو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، (ت: 403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، ن: (دار المعارف، مصر ط5 1997م)، ص62.

¹³⁷ : ابو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص72.

¹³⁸ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (ت: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار أحياء الكتب العربية عيسى البابي، ط: 1 1376هـ / 1957م)، 38، 37/3.

¹³⁹ مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، (ت: 1356هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ن: (دار الكتاب العربي، بيروت ط: 8 1425هـ / 2005م)، ص255.

متعددة وأعطاهم الحرية في اختيار ما يرغبون منها، ومع ذلك فشلوا مما يشير إلى صدق القرآن وأنه وحي من الله.¹⁴⁰

لو اتبع القرآن الكريم نهجاً واحداً في سرد القصص، لادعى الكفار أنهم يستطيعون تقديم شيء مختلف. لكن الله قطع عليهم كل طريق للاعتراض، حيث ذكر في القرآن أنواعاً متعددة وأعطاهم الحرية في اختيار ما يرغبون منها. ومع ذلك، فشلوا في ذلك، مما يشير إلى صدق القرآن وأنه وحي من الله.

2- القرآن الكريم يتميز بأسلوبه الفريد الذي يجذب النفوس إلى الاستماع إليه، يتميز بالتنوع في الأساليب سواء في تقديم المعنى أو تأخيرها، أو نقصانه، هذا التنوع في الألوب يجعل القرآن محبوباً ومقبولاً لدى السامع، بينما يمكن أن يسبب الكلام العادي المتكرر الملل، هذا التأثير القوي للقرآن على النفس الإنسانية هو جزء من إعجازه، الأساليب المتنوعة تخلق صوراً متعددة تستمتع بها النفس وتميل إليها القلوب، مما يجعل القرآن دائماً جديداً ويجذب القلوب.¹⁴¹

3- إن تكرار القصص يعد طريقة لتسليية النبي ﷺ وتعزيز قلبه وقلوب أصحابه رضوان الله عليهم، هذا يتيح للرسول والمؤمنين فرصة لرؤية مواجاة الأنبياء وأتباعهم من تحديات ومعاناة على يد أقوامهم، وكيف ظلوا ثابتين على الحق، وكيف صمدوا وجاهدوا في سبيل الله حتى كانت النتيجة النهائية لصالحهم وضد أعدائهم، هذا يشجعهم على الصبر على اذى المشركين كما صبر الرسل الآخرين، إعادة سرد القصة في عدة سور بأساليب متنوعة في الأساس لتعزيز هذه القواعد في النفس وتثبيتها في القلب، بحيث تقوي الداعية للإصلاح عند المصلح، ولا يجد اليأس طريقاً إليه كان جزءاً من تربية الله لنبيه، أن يروي له قصص الأنبياء الذين سبقوه، وذلك لأن الأشخاص الذين يسعون للفساد في كل عصر يتشابهون، وكذلك الوسائل التي يستخدمونها لمحاربة الحق، قال تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فصلت:

[43].¹⁴²

¹⁴¹ موسى شاهين لاشين، اللآلئ الحسان في علوم القرآن، (دار التأليف، القاهرة 1968م)، ص297.

¹⁴² التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن ص130.

4- التكرار يعمل على تعزيز العبرة والدروس ويوقظ الهمم، فمن خلال التكرار يصبح الشخص الذي لم يكن ينتبه ينتبه أكثر إدراكاً وتفهماً، هذا لأن بعض القلوب قد لا تنتبه إلا عندما يتم التكرار الخبر عدة مرات، العقول والضمائر تختلف في سرعة التنبيه والاستفادة، لذا كرر الله تبارك وتعالى القصة حتى يستفيد الأشخاص الذين لم يتمكنوا من الاستفادة في المرة الأولى في المرة الثانية والثالثة وهذا يعمق العظة والعبرة.¹⁴³

5- ومن الأسرار في القصص المتكررة في القرآن الكريم هو الإشارة إلى وحدة الأديان في جذور العقيدة والتوحيد في الدعوة إلى الله من جانب الرسل، بالإضافة إلى التشابه في ردود الأقوام تجاهها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، هذا يتطلب عرض سلسلة من قصص الأنبياء التي تروي كل هذه الأمور.¹⁴⁴

ومن الجدير بالذكر أننا نلاحظ في عرض قصص الأنبياء ان القرآن الكريم يلتزم بنمط واحد فيما يرويه من دعوة الرسل إلى الله، حيث يقول كل رسول لقومه "اعبدوا الله مالكم من اله غيره" وكان من الممكن له أن يتصرف في سرد حديثهم بأنماط متنوعة تؤدي إلى نفس المعنى لأنهم كانوا يتحدثون بلغة مختلفة عن القرآن، ولكنه اختار هنا التكرار في اللفظ والمعنى معاً للأشعار بأن كلامهم صدر عن الله واحد وأنهم يتجهون نحو هدف واحد وهو التوحيد.

ومن الجدير بالذكر أيضاً ان القرآن الكريم قد يحكي أحيانا عن قوم معينين بأنهم كذبوا الرسل مع أنهم لم يرسل إليهم إلا رسول واحد، مما يوحي بأن تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيب الرسل كلهم، لأنهم كلهم يقولون نفس الشيء بدون تغيير، فمن كذب واحدا منهم فقد كذبهم جميعا، وأحيانا يقول عن أقوام متعددين انهم عصوا رسول ربهم، مما يوضح أن كل أمة كذبت رسولها، ويوحى في الوقت نفسه أنه كأنه كل رسول واحد الذي بعث إلى هذه الأقوام جميعا، لأنهم على اختلاف أقوامهم وأزمانهم وأماكنهم ولغاتهم

¹⁴³ موسى شاهين، اللآلئ الحسان في علوم القرآن ص297.

¹⁴⁴ التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن ص132.

قد قالوا نفس الكلمة، وعرضوا نفس القضية ومن هنا فإن الرسل جميعاً كأنهم رسول واحد يتكرر لكل قوم من الأقبام.¹⁴⁵

كل موطن، ويحدد طريقة العرض والأداء بما يحقق التناسق والجمال الفني، ومن النادر أن يعرض القرآن قصة متكاملة مترابطة الأجزاء متسلسلة الحلقات في موضوع واحد مثل قصة نبينا يوسف عليه السلام لأن القصة لم ترد لذاتها ولم تتناول أخبار الماضين كما تناولها الكتاب المقدس وكتب التاريخ، بل استخدمت كوسيلة للتأثير في غرس العقيدة، لذلك تم توزيع القصة الواحدة في عدة سور بحسب المناسبات، وكلما تكررت المناسبة أعيد ذكر ما يقتضيه الحال منها.¹⁴⁶

ومن خلال ماسبق أن القرآن الكريم كتاب الله العظيم الذي أنزله على رسوله ﷺ، والذي يعتبر هذا الكتاب الذي نزل هو مصدر الدين الإسلامي بأكمله، وهو الركيزة التي تقوم عليها الأمة الإسلامية وروح وجودها، من خلال القرآن نستمد مبادئ العقيدة والشريعة والأخلاق والقرآن كتاب لكل العصور، وقد جعله الله عز وجل دليلاً للبشر والجن، كل ما في القرآن له حكمة والله تعالى أخبرنا في كتابه بأجمل القصص، وهذا يشمل كل ما قصه الله تعالى علينا في كتابه العظيم، والقصص القرآنية تحمل في طياتها حكم ودروس تساهم في تربية الأفراد والمجتمعات وتوجه القادة والدعاة

¹⁴⁵ محمد بن قطب بن ابراهيم، (ت: 1435هـ)، دراسات قرآنية، (دار الشروق مصر ط: 3/ 1402هـ / 1982م)، ص102.

¹⁴⁶ انظر، التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن ص139.

الفصل الثالث: الرازي واسلوبه في القصص القرآني وطريقته في إيرادها تطبيقات على سورة الإسراء

المبحث الأول: بين يدي سورة الإسراء

المطلب الأول: اسم السورة ومناسبة تسميتها

وسميت بـ"سورة سبحان" هي سورة الإسراء في القرآن الكريم، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تحمل معاني التنزيه، لأن من كان على غاية النزاهة من كل نقص، فهو جدير بأن لا نعبد إلا إياه، وأن نعرض عن كل ما يخالف ذلك، إن الله متصف بكمال الصفات والأسماء، وهو الذي يستحق العبادة والتسبيح.¹⁴⁷

سورة الإسراء تحمل هذا الاسم لأنها تبدأ بالإشارة إلى معجزة الإسراء، وهي واحدة من أهم الأحداث في حياة النبي محمد ﷺ، وفي تاريخ البشرية بأسرها، البيضاوي رحمه الله ذكر في تفسيره أن سورة الإسراء تُعرف أيضاً بسورة أسرى،¹⁴⁸ ومع ذلك يشير بعض المفسرين إلى أن تسمية سورة الإسراء بسورة بني إسرائيل هي من الأسماء التي تم إدخالها من الإسرائيليات، وهي غير صحيحة،¹⁴⁹ فللسورة اسم توقيفي وهو "الإسراء" وهو الاسم الذي ذكرت به العديد من المصاحف وأما سورة بني إسرائيل و"سبحان" فهما اجتهداين.

المطلب الثاني: أسباب النزول زفضلها

أولاً: أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: 57]، عن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: نزلت في نفرٍ من العرب كانوا يعبدون نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فأسلمَ الجنيونَ، والإنسُ الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون؛ فنزلت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾.¹⁵⁰

¹⁴⁷ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (دار الكتاب الإسلامي القاهرة)، 286/11.

¹⁴⁸ ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المر عشلي، (دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1418هـ)، 247/3.

¹⁴⁹ عبد الكريم يونس الخطيب، (ت: بعد 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، (دار الفكر العربي، القاهرة)، 405/8، 406.

¹⁵⁰ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1374هـ / 1955م)، كتاب تفسير القرآن باب: قوله تعالى: وإذ صرَفنا إليك نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ رَح: 4506.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110]، روي البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "أنزلت ورسول الله ﷺ مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ، فَسَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ﴾: ﴿لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ حَتَّى يَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾: أَسْمِعُهُمْ وَلَا تَجْهَرْ؛ حَتَّى يَأْخُذُوا عَنْكَ الْقُرْآنَ".¹⁵¹

ثانياً: فضلها

عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: "إنهن من العتاق¹⁵² الأول، وهن من تلادي"¹⁵³.¹⁵⁴

حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ عَلَى فِرَاشِهِ حَتَّى يَقْرَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالزُّمَرِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَةِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ وَقِرَاءَتِهَا فِي اللَّيْلِ.¹⁵⁵

المطلب الثالث: السورة وموضوعاتها

الإسراء والمعراج: تتناول السورة قصة الإسراء والمعراج، حيث أسرى النبي محمد ﷺ، من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، ثم ارتقى بالسماء والملائكة والأنبياء في رحلة الأعراج، هذه القصة تؤكد على العظمة والمكانة الخاصة للنبي محمد ﷺ.

¹⁵¹ البخاري، صحيح البخاري، باب: ما جاء في التخفي والاجتهاد في الدعوة في مواجهة الأعداء، رح: 7490.

¹⁵² مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، ن: (المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م)، العتاق: اي السور التي انزلت اول بمكة، 179/3.

¹⁵³ : البخاري، صحيح البخاري رح (4994).

¹⁵⁴ ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر 1/194، التلادي: أي: من أول ما اخذته وتعلمته بمكة.

¹⁵⁵ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (ت: 279هـ)، الجامع الكبير سنن الترمذي، تحقيق: عواد بشار معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت ط: 1، 1996م)، باب: فضائل القرآن رح 2920.

التوحيد والعقيدة: تركز السورة على ترسيخ العقيدة في قلوب المسلمين، وتحت على الإيمان بوحداية الله والاعتقاد برسالة النبي محمد ﷺ، كما تحذر من الشرك والتبرك بغير الله.

قصص بني إسرائيل: تحتوي السورة على قصص لبني إسرائيل، مثل قصة سيدنا موسى عليه السلام وفرعون، والنظر على العبر والعظات من تلك القصص.

التوجيه الأخلاقي والسلوكي: تحتوي السورة على توجيهات للمسلمين بشأن السلوك الفردي والجماعي، وتشجعهم على التوكل على الله في جميع شؤون حياتهم.

التوراة والهدى: تشير السورة إلى أهمية الهدى والتوجيه الذي جاء به الله في التوراة، وتذكر ان التوراة كانت هدى لبني إسرائيل.¹⁵⁶

المطلب الرابع: السورة ومناسباتها العامة

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها

يولي الرازي في تفسيره يولي اهتماماً كبيراً لمناسبة السور بعضها ببعض، أي العلاقة بين السورة وما قبلها. عند تفسير سورة الإسراء، يشير الرازي إلى عدة نقاط توضح مناسبة هذه السورة لما قبلها (سورة النحل):

1. التحول من الدعوة إلى التشريع والتوجيه: سورة النحل تركز على نعم الله والدعوة إلى التوحيد واتباع الرسل، وفي سورة الإسراء، يُلاحظ تحول إلى توجيهات تشريعية وأخلاقية محددة، خاصة في الجزء المتعلق بالإسراء والمعراج، وهو انتقال طبيعي من بيان النعم إلى التوجيهات النبوية المتعلقة بالإيمان والعبادة.

2. التأكيد على التوحيد والبعث: سورة النحل تبرز التوحيد والبعث والجزاء، وسورة الإسراء تكمل هذه الموضوعات من خلال الحديث عن الإسراء والمعراج، حيث يظهر جانب من عظمة الله وقدرته على إنجاز المعجزات، ما يؤكد أهمية الإيمان بالبعث والحساب.

¹⁵⁶ الرازي، مفاتيح الغيب 2/295.

3. الانتقال من الترغيب إلى التهيب: في نهاية سورة النحل، يتم الترغيب في الطاعة واتباع الهدي الإلهي، في بداية سورة الإسراء، يتم التهيب من مخالفة أوامر الله من خلال عرض عواقب ذلك على بني إسرائيل، مما يشير إلى تناسق موضوعي بين الترغيب والتهيب.

4. الحديث عن القرآن: سورة النحل تختتم بالحديث عن القرآن باعتباره هداية ورحمة. سورة الإسراء تفتتح بالإشارة إلى عظمة القرآن وكونه هداية للناس، مما يشير إلى الاستمرارية في موضوع الهداية الإلهية.

من خلال هذه المناسبات، يبين الرازي أن هناك انسجاماً وتربطاً بين سورة النحل وسورة الإسراء، حيث تتكاملان في توجيه المسلم نحو فهم أعمق للتوحيد والبعث، ودور القرآن في الحياة، وأهمية اتباع الهدي النبوي.¹⁵⁷

ثانياً: مناسبة سورة الإسراء لما بعدها الكهف

في مطلع تفسير الرازي لسورة الكهف، يذكر مجموعة من الفوائد في المسألة الأولى: "وهي كلها احتجاج لورود سورة الكهف عقب سورة الإسراء، حيث قال: "بالنسبة للكلام في قولنا الحمد لله فقد سبق، أن التسبيح عادة ما يأتي قبل التحميد، لذا نجد أنه يقال "سبحان الله والحمد لله" إذا فهمت هذا، نقول إن الله جل جلاله، ذكر التسبيح عندما أخبرنا أنه أسرى بالنبي محمد ﷺ، فقال: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً"¹⁵⁸، وذكر الحمد عندما أخبرنا أنه أنزل الكتاب على النبي محمد ﷺ، فقال: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وفيه فوائد

الفائدة الأولى: التسبيح هو أول الأمر، لأنه يعبر عن تنزيه الله عن كل مالا يليق به، وهو إشارة على كمال الله في ذاته، والتحميد عبارة عن كونه مكملاً لغيره، ولا شك أن أول الأمر هو كونه كاملاً في ذاته ونهاية الأمر كونه مكملاً لغيره، فلا جرم وقع الأبتداء في الذكر بقولنا "سبحان الله" نجد التسبيح يأتي أولاً، ويأتي التحميد في قوله "الحمد لله" هذا يشر إلى أن مقام التسبيح هو مبدأ ومقام التحميد هو النهاية، إذا عرفت هذا نقول: أن الله ذكر التسبيح عند الإسراء، وذكر التحميد عند إنزال الكتاب، وهذا تنبيه إلى أن

¹⁵⁷ الرازي، مفاتيح الغيب 20 / 299.

¹⁵⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 8 / 199.

الإسراء به أول درجات كماله، وإنزال الكتاب غاية درجة كماله، والأمر في الحقيقة كذلك، لأن الإسراء به إلى المعراج ينبغي حصول الكمال له، وإنزال الكتاب عليه يقتضي كونه مكماً للأرواح البشرية.¹⁵⁹

الفائدة الثانية: إن الإسراء هي عبارة عن رفع ذات النبي ﷺ من تحت إلى فوق وإنزال الكتاب عليه هو عبارة عن نزول نور الوحي عليه من فوق إلى تحت، ولا شك بأن الثاني اكمل.¹⁶⁰

الفائدة الثالثة

إن من منافع الإسراء به كانت مقصورة ألا ترى أنه سبحانه وتعالى قال: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِينَاتٍ﴾ [

الإسراء:1] ومنافع إنزال الكتاب عليه متعددة، ألا ترى أنه قال سبحانه: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الكهف:2]، والفوائد المتعددة أفضل من الفوائد القاصرة.¹⁶¹

ثالثاً: مناسبة فاتحة السورة مع خاتمتها

افتتحت السورة بالتسبيح واختتمت بالحمد، هذه السورة تتضمن الإسراء الذي كذب به المشركون، وكذبوا الرسول ﷺ، ولأن التكذيب للرسول هو تكذيب لله جاءت السورة بـ"سبحان"، وهو تنزيه لله عما نسب إليه من الكذب، وجاءت أيضاً بـ"الحمد وهو إثبات لكل كمال".¹⁶²

سورة الإسراء مكية، إلا ثمان آيات، من قول تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ إلى

قوله: ﴿سُلْطَنًا نَّصِيرًا﴾ هذه الآيات الثمانية هي المدني منها وهذا قول قتادة، وقال مقاتل: المدني منها قوله

تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن

قَبْلِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ وقوله

¹⁵⁹ الرازي، مفاتيح الغيب 199/8.

¹⁶⁰ الرازي، مفاتيح الغيب 200/8.

¹⁶¹ الرازي، مفاتيح الغيب 76/11، 77.

¹⁶² السيوطي، مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، (دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط:1، 1426)، ص54.

تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾ والتي تليها، وعدد آياتها مئة وعشر آيات، وقيل: وإحدى عشرة آية كلماتها ألف وخمسة مئة وثلاث وثلاثون، وحروفها ستة آلاف وأربع مئة وستون.¹⁶³

المنسوخ من آياتها:¹⁶⁴

أبو عبدالله محمد بن حزم ذكر في تفسيره لسورة بني إسرائيل ان هناك ثلاث آيات تم نسخها: الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الى قوله تعالى: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 23] ، [24] تم نسخ بعض حكم هذه الآية والبعض الآخر بقى على ظاهره، فهو في أهل التوحيد محكم، وبعض حكمها في أهل الشرك منسوخ بالآية في سورة التوبة قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: 113].¹⁶⁵

في سورة الإسراء الآية قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ الى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 54]، نسخت هذه الآية بالآية التي في سورة التوبة آية السيف قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 5].

الآية الثالثة: نسخ الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ آدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ الى قوله تعالى: ﴿قُلْهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110]، نسخت هذه الآية بالآية التي في سورة الإعراف قوله تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً...﴾ [الأعراف: 55].¹⁶⁶

¹⁶³ : الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 5/16.
¹⁶⁴ رسالة ماجستير، هناء رياض وادي المناسبات في سورة الإسراء، جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا، قسم أصول الدين، (1440هـ/ 2019م)، ص40 بتصرف.
¹⁶⁵ علي بن أحمد بن سعيد الظاهري ابن حزم، (ت: 456هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: د عبد الغفار سليمان البنداري، (دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط: 1، 1986م)، 44/1.
¹⁶⁶ ابن حزم، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم 44/1.

المبحث الثاني: القصص الواردة في سورة الإسراء ومنهج الرازي في تفسيرها

المطلب الأول: قصة بني إسرائيل

الآيات (2 ، 3) ﴿وَعَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، [الإسراء: 3] يقول الرازي في قوله تعالى: ﴿وَعَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 2، 3].

عند تفسير الرازي لهذه الآيات نلاحظ انه يفصل القول فيقول: اعلم ان الكلام في الآية التي قبل هذه الآية، وفيها انتقل من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة لأن قوله: سبحانه الذي أسرى فيه ذكر الله على سبيل الغيبة وقوله: باركنا حوله لنريه من آياتنا فيه ثلاثة ألفاظ دالة على الحضور وقوله: إنه هو السميع البصير يدل على الغيبة: إنه هو السميع البصير يدل على الغيبة وقوله: وآتيناه موسى الكتاب إلخ.. يدل على الحضور وانتقال الكلام من الغيبة إلى الحضور وبالعكس يسمى صنعة الالتفات.¹⁶⁷

ومن أسلوب الرازي: أنه يعرض السياق القرآني ويذكر الأعجاز القرآني في الأقوال ويتعرض اللطائف اللغوية والنحوية ونراه كيف يوضح أسلوب الالتفات في الآيات الكونية التي تمثلت بالإسراء، وهو أسلوب الالتفات من الغيبة إلى التكلم، يفصل القصة في القرآن يقول الرازي: في قوله تعالى { وإياي فارهبون } : الرجوع من الغيبة إلى الوجود، يتم التأكيد ان الإله واحد، وثبت أن الكلام الذي تحدث هو من الإله، للتأكيد على أن الإله واحد ولا أحد يتحدث بهذا الكلام، هذا يعني أن الخلق تخشى فقط منه، وأنهم يتطلعون فقط إلى نعمته وكرمه، فجاء الالتفات لأفاده هذا السياق إلى ضمير المتكلم لإبراز عظمة الله تعالى وتأكيد أن هذا الفعل خاص به، هذا يعزز مفهوم عظمتة ويؤكد على انه الوحيد الذي يمتلك هذه القدرة.¹⁶⁸

كما أنه يتعرض لذكر المناسبة فيقول: ذكر الله تعالى في الآية الأولى إكرامه محمداً ﷺ بأنه أسرى به، وذكر في هذه الآية أنه أكرم موسى عليه السلام قبله بالكتاب الذي آتاه فقال: (آتيناه موسى الكتاب)

¹⁶⁷ الرازي، مفاتيح الغيب 297/20.

¹⁶⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 44/10.

يعني التوراة: وجعلناه هدى أي يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والدين الحق.

ونلاحظ أنه يذكر القراءات ويقف عند توجيهها بقوله: " قرأ عمرو¹⁶⁹: ألا تتخذوا بالياء خبراً
عن بني إسرائيل والباقون بالتاء على الخطاب، أي قلنا لهم لا تتخذوا.

وهو يتعرض لذكر اللطائف اللغوية والنحوية بقوله: قال أبو علي الفارسي ان قوله: ألا تتخذوا فيه
ثلاثة اوجه: أن تكون (أن) ناصبة للفعل فيكون المعنى: وجعلناه هدى لئلا تتخذوا، وثانيها: ان تكون (أن)
بمعنى أي التي للتفسير وانصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قراءة العامة كما انصرف منها إلى
الخطاب، والأمر في قوله: ﴿وَأَنْطَلَقَ أَلَمًا مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا﴾ [ص: 6]، فذلك انصرف من الغيبة إلى النهي
في قوله تعالى: (ألا تتخذوا).¹⁷⁰

كما أنه يستعرض الوجوه اللغوية من ذلك مثلاً بقوله: أن تكون (أن) زائدة ويجعل تتخذوا على
القول المضمر والتقدير: وجعلناه هدى لبني إسرائيل فقلنا لا تتخذوا من دوني وكيلاً.

وعند تفسيره قوله: وكيلاً قال : أي رباً تكون أموركم إليه، وهو يربط بين أجزاء السياق فيقول:
حاصل الكلام في الآية: انه تعالى ذكر تشريف محمد ﷺ بالإسراء، ثم ذكر عقيبه تشريف موسى عليه
السلام بإنزال التوراة عليه، ثم وصف التوراة بكونها هدى، ثم بين أن التوراة إنما كان هدى لاشتماله على
النهي عن اتخاذ غير الله وكيلاً، وذلك هو التوحيد، فرجع حاصل الكلام بعد رعاية هذه المراتب انه لا
معراج أعلى ولا درجة أشرف ولا منقبة أعظم من أن يصير المرء غرقاً في بحر التوحيد وأن لا يعول في
إمْرِ من الأمور إلا على الله، فإن نطق، نطق بذكر الله، وأن تفكر في دلائل تنزيه الله تعالى، وإن طلب
طلب من الله، فيكون كله لله وبالله، ثم قال: (ذرية من حملنا مع نوح) وفي نصب ذرية وجهان:

ونجد انه دائماً يستعرض الوجوه اللغوية ويستشهد بأقوال المفسرين بقوله: أن يكون نصبا على
النداء يعني: يا ذرية من حملنا مع نوح وهذا قول مجاهد، لأنه قال: هذه نداءً قال الواحدي : إنما يصح هذا

¹⁶⁹ عمر بن العلاء بن عمار قيل: الصواب معاذ بن عمار أبو حفص (ت: 170 هـ)، هو أحد القراء السبعة المشهورين،
ينظر ابن حجر: أحمد بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة،
(دار الرشيد، سوريا ط: 1، 1406 هـ/ 1986 م)، 725/1.
¹⁷⁰ الرازي، مفاتيح الغيب 298/20.

على قراءة من قرأ بالتاء كأنه قيل لهم: لا تتخذوا من دوني وكيلاً ياذرية من حملنا مع نوح في السفينة قال قتادة: الناس كلهم ذرية نوح لأنه كان معه في السفينة ثلاثة بنين: سامٌ وحامٌ ويافت فالناس كلهم من ذرية أولئك، فكان قوله تعالى (ياذرية من حملنا مع نوح)، قائماً مقام قوله: يا أيها الناس.¹⁷¹

ثم قال: في نصب قوله: ذرية أن اتخاذ فعل يتعدى إلى مفعولين كقوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾]

النساء: [125] والتقدير: لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلاً، ثم إنه تعالى أثنى على نوح عليه السلام فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]، أي كان كثير الشكر.

ونراه يستشهد بالروايات وبالأحاديث المأثورة كما في قوله: روي أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أكل قال، الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني¹⁷²، وإذا شرب قال: الحمد لله الذي أسقاني ولو شاء أظمأني¹⁷³، وإذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعراني¹⁷⁴، وإذا احتذى قال: الحمد لله الذي حذاني ولو شاء أحفاني¹⁷⁵ وإذا قضي حاجته قال: الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه،¹⁷⁶ فإن قيل: قوله: إنه كان عبداً شكوراً ما وجه ملاءمته لما قبله؟، قلنا: التقدير كأنه قال: لا تتخذوا من دوني وكيلاً ولا تشركوا بي، لأن نوحاً عليه الصلاة والسلام كان عبداً شكوراً، وإنما يكون العبد شكوراً لو كان موحداً لا يرى حصول شيء من النعم إلا من فضل الله وأنتم ذرية قومه فاقتدوا بنوح عليه السلام، كما أن آبائكم اقتدوا به والله اعلم.¹⁷⁷

171 الرازي، مفاتيح الغيب 298/20.

172 البخاري، صحيح البخاري، الأدب المفرد، باب الحمد للطعام رح 659.
173 البخاري، صحيح البخاري، الأدب المفرد، باب الحمد للطعام رح 659.
174 البخاري، صحيح البخاري، الأدب المفرد، باب الحمد للطعام رح 659.
175 البخاري، صحيح البخاري، باب، ما يقول إذا لبس نعليه رح 303.
176 البخاري، صحيح البخاري، باب، ما يقول إذا خرج من الخلاء رح 693.
177 الرازي، مفاتيح الغيب 299/20.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ ١٧٨ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ١٧٩ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: 4، 5، 6].¹⁷⁸

الرازي في تفسير الآيات، يذكر اللطائف اللغوية ويستنبط بتفسير النص القرآني من خلال تحليل المعاني وأستخراج الدلالات والعبر بقوله: أعلم أنه تعالى عندما ذكر نعمه على بني إسرائيل بإنزال التوراة عليهم، وبأن جعل التوراة هدى لهم، أوضح أنهم لم يهتدوا بهديها، بل وقعوا في الفساد، فقال تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ).

كما أنه يستعرض اللطائف اللغوية يربط المعنى اللغوي للكلمة واستخدامها في السياقات المختلفة سواء في النصوص القرآنية أو الأدبية، المسألة الأولى في قوله: القضاء في اللغة يعني إتمام الأمور بإحكام وإتقان، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [الصافات: 12]، وأيضاً قال الشاعر: "وعليهما مسرودتان قضاهما... داود.¹⁷⁹

وهو في علم البلاغة والبيان يفصل ويذكر الوجوه: فقوله وقضينا يفسر بأنه ألمناهم وأخبرناهم بذلك وأوحينا إليهم، ولفظ (إلى) يتصل بفعل الإيحاء لأن معنى قضينا هو أوحينا إليهم بذلك، وقوله: لتفسدن يراد به ارتكاب المعاصي، ومخالفة أحكام التوراة، وقوله: في الأرض يعني به أرض مصر، وقوله: ولتعلمن علواً كبيراً يعني أن استعلاءكم على الناس سيكون بغير حق واستعلاء عظيم، لأنه يقال لكل متجبر: قد علا وتعظم، ثم قال: (فإذا جاء وعد أولاهما) يعني أولى المرتين: (بعثنا عليكم عباداً أولي بأس شديد).

واحياً يستعين في فهم تفاصيل القصة بالروايات عن بني إسرائيل بقوله: والمعنى أي تفسيره ل) بعثنا عليكم عباداً أولي بأس شديد)، أنه إذا جاء وعد الفساق في المرة الأولى: أرسلنا عليكم قوماً أولي بأس

¹⁷⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 299/20.

¹⁷⁹ الرازي، مفاتيح الغيب 299/20.

شديد، وقوة وشدة، والبأس يعني القتال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: 177]، ومعنى "بعثنا عليكم" هو أرسلنا عليكم، وخلينا بينكم وبينهم خاذلين إياكم، واختلفوا في هؤلاء العباد من هم؟ فقيل: إن بني إسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الأنبياء وسفكوا الدماء، وذلك أول الفساد، فسلط الله عليهم نبوذخنصر الذي قتل منهم أربعين ألفاً ممن يقرأ التوراة وأخذ البقية إلى أرضه، فبقوا هناك في الذل حتى قيض الله ملكاً آخر، غزا أهل بابل واتفق أن تزوج بأمرأة من بني إسرائيل، فطلبت منه أن يعيد بني إسرائيل إلى بيت المقدس ففعل، وبعد مدة قامت فيهم الأنبياء وعادوا إلى أحسن ما كانوا عليه، وهو قوله: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم).¹⁸⁰

ثم يفصل بالأقوال ويرجح، القول الثاني: إن المراد من قوله: بعثنا عليكم عبداً لنا أن الله تعالى سلط عليهم جالوت حتى أهلكهم وأبادهم، وقوله: (ثم رددنا لكم الكرة) يعني أن الله تعالى قوى طالوت حتى حارب جالوت، ونصر داود حتى قتل جالوت، فذلك هو عود الكرة.

وفي تفسيره قوله تعالى: بعثنا عليكم عبداً لنا ، يعني بأن الله تعالى ألقى الرعب من بني إسرائيل في قلوب المجوس، فلما كثرت المعاصي فيهم، أزال ذلك الرعب عن قلوب المجوس، فقصدوهم وبالغوا في قتلهم وإفنائهم وإهلاكهم.¹⁸¹

ويذكر الحكمة والغاية ويستنتج العبر من القصص القرآني ويفصل ويستشهد بأقوال المفسرين، بقوله: واعلم أنه لا يتعلق كثير عرض في معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم، بل المقصود هو أنهم لما أكثروا من المعاصي سلط الله عليهم أقواماً قتلوهم وأفنؤهم.

وهو يتعرض إلى اللطائف اللغوية ويفصل بالأقوال ويرجح بقوله: في الآية توضيح قال تعالى: فجاسوا خلال الديار، فقال الليث بن سعد:¹⁸² الجوس والجوسان التردد خلال الديار والبيوت في الفساد، والخلال هو الانفراج بين الشيئين، والديار ديار بيت المقدس، واختلفت عبارات المفسرين في تفسير جاسوا،

¹⁸⁰ الرازي، مفاتيح الغيب 299/20.

¹⁸¹ الرازي، مفاتيح الغيب 299/20.

¹⁸² أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري (ت: 175هـ)، عشرة أحاديث من الجزء المنتقى الأول والثاني من حديث الليث، تحقيق: خلاف محمود عبد السميع، (دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: 1، 1423هـ / 2002م) ص25.

فعن ابن عباس: فتنشوا وقال أبو عبيدة: ¹⁸³طلبوا من فيها ، وقال ابن قتيبة: ¹⁸⁴عاثوا وأفسدوا، وقال الزجاج: ¹⁸⁵طافوا خلال الديار هل بقي أحد لم يقتلوه، قال الواحدي: ¹⁸⁶هو التردد والطلب، وذلك محتمل لكل مآلوه.

كما أنه يستذكر اللطائف اللغوية والنحوية ويوضح دلالاتها اللغوية، ويذكر تفسير المفردات واستخداماتها في مواضع أخرى من القرآن الكريم، في قوله: ثم قال تعالى: (وكان وعداً مغعولاً)، أي كان قضاء الله بذلك قضاء جزماً لا يقبل النقض والنسخ، ثم قال تعالى: (ثم رددنا لكم الكرة)، أي أهلكتنا أعدائكم ورددنا الدولة القوة عليكم، وجعلناكم أكثر نفيراً النفير العدد من الرجال وأضله من نفر مع الرجل من عشيرته وقومه، والنفير والنافر واحد، كالقدير والقادر، وذكرنا معنى نفر عند قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ [التوبة: 122]، وقوله: ﴿أَنفِرُوا خِفَافًا﴾ [التوبة: 41].

وهو أيضاً يذكر اللطائف اللغوية، ويستشهد بالأقوال بقوله: أصحابنا يستذكر الأصول والقواعد، بقوله: أستدل أصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في مسألة القضاء والقدر من عدة جوانب: الأول: أن الله تعالى قال: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، وهذا القضاء في أدنى احتمالاته يعني الحكم الجازم والخبر الحتمي، وبذلك يثبت أن الله تعالى أخبرهم بشكل جازم لا يقبل التغيير بأنهم سيقدمون على الفساد والمعاصي، فالقضاء هنا يعني الحكم الجازم كما شرحناه سابقاً، ثم إن الله تعالى أكد هذا القضاء بتأكيد إضافي بقوله (وكان وعداً مغعولاً)، إذا ثبت هذا، وهنا يقصد الرازي توضيح مسألة القضاء والقدر بأسلوب استدلال منطقي وتأيد مذهبه، إذا ثبت هذا فنقول: إن عدم وقوع ذلك الفساد منهم يستلزم أن يتحول خبر الله تعالى الصادق إلى كذب، وأن يصبح حكمه الجازم باطلاً، وأن

¹⁸³ معمر بن المثنى التيمي البصري أبو عبيدة (ت: 209هـ)، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سيزكين، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1381هـ)، 370/1.

¹⁸⁴ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ابن قتيبة (ت: 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت لبنان) ص 224.

¹⁸⁵ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (عالم الكتب، بيروت ط: 1، 1408هـ / 1988م) 227/3.

¹⁸⁶ الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، 3 / 257.

ينقلب علمه الحق إلى جهل، وكل ذلك مستحيل، وكان إقدامهم على ذلك الفساد مستحيلاً، وكان إقدامهم عليه أمراً واجباً وضرورياً لا يقبل النسخ أو التغيير، رغم أنهم كلفوا بتركه ولعنوا على فعله، وهذا يدل على قولنا: إن الله قد يأمر بشيء ويمنع وقوعه، وقد ينهى عن شيء ويقضي بحدوثه، هذا هو أحد وجوه الاستدلال بهذه الآية.¹⁸⁷

وكذلك يفصل بالأقوال ويرجح ويذكر الأصول والقواعد ثم يذكر اللطائف اللغوية بقوله: في تفسير هذه الآية، قوله تعالى: (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ)، يقصد بالعباد هنا أولئك الذين تسلطوا على بني إسرائيل بالقتل والنهب والأسر، وقد بين الله تعالى أنه هو الذي أرسلهم على بني إسرائيل ونهب أموالهم وأسر أبنائهم كان يتضمن الكثير من الظلم والمعاصي الكبيرة، ثم إن الله تعالى نسب كل ذلك إلى نفسه بقوله: بعثنا عليكم" مما يدل على أن الخير والشر، والطاعة والمعصية، كلها من عند الله تعالى.¹⁸⁸

وقد رد الجبائي¹⁸⁹ على هذا التفسير من وجهين الأول: أن المقصود بـ"بعثنا عليكم" هو أن الله أمر هؤلاء القوم بغزو بني إسرائيل عندما ظهر الفساد فيهم، فأضيف الفعل إلى الله تعالى من حيث الأمر، الثاني: أن المعنى هو أن الله خلى بينهم وبين بني إسرائيل ولم يمنعهم، ولم يلق الخوف من بني إسرائيل في قلوبهم، وبذلك فإن المقصود من هذا البعث هو التخلي بينهم وعدم المنع.¹⁹⁰

ونجد أن الرازي دائماً يضيف تعليقه على المسائل كما في تعليقه على اقوال المفسرين في تفسير قوله { بعثنا عليكم عباداً لنا } يقول: الإجابة الأولى ضعيفة، لأن الذين نوا تدمير المقدس وحرق التوراة وقتل حفاظ التوراة لا يمكن أن يقال إنهم فعلوا ذلك بأمر الله تعالى، والجواب الثاني: أيضاً ضعيف، لأن البعث على الفعل عبارة عن التقوية عليه وإلقاء الدواعي القوية في القلب، وأما التخلية تعبر عن عدم المنع، والأول فعل والثاني ترك، فتفسير البعث بالتخلية تفسير لأحد الضدين بلآخر وهذا لا يجوز، فثبت صحة ما ذكرناه والله أعلم.¹⁹¹

¹⁸⁷ الرازي، مفاتيح الغيب 300/20.

¹⁸⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 300/20.

¹⁸⁹ أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي (ت: 303هـ)، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة وله مقالات على مذهب الاعتزال، ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان 183/3.

¹⁹⁰ الرازي، مفاتيح الغيب 300/20.

¹⁹¹ الرازي، مفاتيح الغيب 301/20.

الإسراء (الآيات 7 و 8) قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۗ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم ۚ وَإِنْ عُثِرْتُمْ عُذْنًا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝﴾ [الإسراء: 7، 8]

وفي قوله تعالى: (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا)، يقول الرازي في تفسير هذه الآية: وفيه مسائل: المسألة الأولى: أعلم أن الله تعالى وصفهم بأنهم عندما عصوا، سلط عليهم أقواماً قصدوهم بالقتل والنهب والسبي، وعندما تابوا رفع عنهم تلك المحنة وأعاد عليهم الدولة، فظهر في ذلك أنهم إذا أطاعوا، فقد احسنوا لأنفسهم وإذا أصروا على المعصية فقد أسأوا لأنفسهم، وقد تقرر في العقول أن الإحسان إلى النفس حسن مطلوب، وأن الإساءة إليها قبيحة، فلهذا المعنى قال تعالى: (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا).

ويستشهد بأقوال العلماء بقوله: المسألة الثانية قول الواحدي: إنه لا بد من إضمار في هذا الموضع والتقدير هو: وقلنا إذا أحسنتم فقد أحسنتم لأنفسكم، والمعنى: إذا أحسنتم بفعل الطاعات فقد أحسنتم أنفسكم، لأن بركة تلك الطاعات تفتح عليكم أبواب الخيرات والبركات، وإذا أسأتم بفعل المحرمات فقد أسأتم إلى أنفسكم، لأن شؤو تلك المعاصي يفتح عليكم أبواب العقوبات.¹⁹²

يفصل بالأقوال النحوية في قوله المسألة الثالثة: قال النحويون: إنما استخدم عبارة (وإن أسأتم فلها)، للتقابل، والمعنى هو (فإليها) أو (فعليها)، مع أن حروف الإضافة يمكن أن تحل مكان بعضها البعض، مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: 4، 5]، أي إليها.

وهو يذكر التفاسير الأخرى مستشهد بالأقوال بقوله: المسألة الرابعة: قال أهل الأشارات: إن هذه الآية تدل على أن رحمة الله تعالى تغلب غضبه، وذلك لأن الله عندما ذكر الإحسان أعاده مرتين فقال

¹⁹² الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد 22/ 5.

تعالى: (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ)، أما عندما ذكر الإساءة فقد أكتفى بذكرها مرة واحدة فقال: (وَإِنْ أَسَاءْتُمْ فَلَهَا)، ولو لم يكن جانب الرحمة غالباً، لما كان الأمر كذلك.

ونجده دائماً يستشهد بالأقوال ويرجح ويفرغ على المسائل فعند تفسير قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ

الْآخِرَةِ) ، قال المفسرون إن معنى الآية هو وعد المرة الأخيرة، وهذه المرة تشير إلى إقدام بني إسرائيل، على قتل زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام، وقال الواحدي: فبعث الله تعالى عليهم بختنصر البابلي المجوسي، أبغض خلقه إليه، فسبى بني إسرائيل، وقتل وخرّب بيت المقدس، أقول: التواريخ تشهد بأن بختنصر كان قبل زمن عيسى عليه الصلاة والسلام، ويحيى وزكريا عليهما الصلاة والسلام، بسنوات طويلة، ومن المعروف أن الملك الذي أنتقم من بني اليهود بسببهم كان ملكاً من الروم، يدعى قسطنطين الملك، والله أعلم بأحوالهم، ولا يتعلق غرض من أغراض تفسير القرآن بمعرفة هويات هؤلاء الأشخاص بالتحديد.¹⁹³

وهو يذكر اللطائف اللغوية والنحوية بقوله: جواب قوله (فإذا جاء)، محذوف، وتقديره (فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسؤوا وجوهكم)، وقد حسن هذا الحذف لدلالة ماسبق عليه من قوله: (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا) [الإسراء: 5]، ثم قال: (ليسؤو وجوهكم) وفيه مسألتان: المسألة الأولى: "سَاءة" يعني أحزنه، ويعزى الإساءة إلى الوجوه، لأن آثار الأعراض النفسانية التي تحدث في القلب تظهر على الوجه، فإذا كان الفرح في القلب ظهرت النضرة والإشراق والإسفار في الوجه، وإذا كان الحزن والخوف في القلب، ظهر الكلوح والغبرة والسواد في الوجه، لذلك عزيت الإساءة إلى الوجوه في هذه الآية، وهذا المعنى يوجد كثيراً في القرآن.

ونلاحظ أنه يفصل بالأقوال ويسير القراءات ويذكر اللطائف بقوله: قال العامة: "ليسؤوا" على صيغة المغايبة، وقال الواحدي¹⁹⁴: أنها توافق المعنى واللفظ، وأما المعنى هو ان الذين يبعثون هم من

¹⁹³ الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد 382/3.

¹⁹⁴ الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد 97/3.

يسيء إليهم ف بالحقيقة، لأنهم هم من يقومون بالقتل والأسر، وأما بالنسبة للفظ، فإن هذا يتوافق مع قوله تعالى: (وليدخلوا المسجد)، وقد قرأ ابن عامر¹⁹⁵، وأبو بكر¹⁹⁶ عن عاصم، وحمزة¹⁹⁷، (ليسوء) بإسناد الفعل إلى الواحد، وهذا يمكن ان يكون أحد أشياء ثلاثة: إما اسم الله سبحانه لأن الذي تقدم هو قوله تعالى: (ثم رددنا.... وأمددناكم) [الإسراء:6]، وكل ذلك ضمير عائد إلى الله تعالى، وقد يكون المقصود هو البعث المشار إليه في قوله تعالى: (بعثنا)، والفعل المتقدم يدل على المصدر كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [آل عمران: 180]. وقال الزجاج: ¹⁹⁸ (ليسوء الوعد وجوهكم)، وقرأ الكسائي¹⁹⁹ بالنون، وهذا إسناد الفعل إلى الله سبحانه وتعالى كقوله: (بعثنا عليكم أمددناكم).

ثم قال تعالى: (وليتبروا ماعلوا تتبيرا) يقال: تبر الشيء تبراً إذا هلك وتبره أهلكه، يقول الزجاج: كل شيء جعلته مكسراً ومفتتاً فقد تبرته"، ومنه قيل: "تبر الزجاج وتبر الذهب لمكسره، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّ مَا هُمْ فِيهِ وَبُطِّلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 139]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 28]، المعنى في قوله تعالى: (ماعلوا) قد يكون إشارة إلى ماغلبوا عليه وظفروا به، أو إلى أنهم يدمرون ويخربون طالما ظلوا غالبين، أي مادام سلطانهم مستمراً على بني إسرائيل، وقوله تعالى: (تتبيرا)، يأتي كذكر للمصدر لتأكيد الخبر وإزالة الشك في صدقه، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾

¹⁹⁵: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري أبي جعفر (ت: 540هـ)، الأقتاع في القراءات السبع، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1419هـ، 1999م)، ص340.

¹⁹⁶ الرازي، مفاتيح الغيب 301/20.

¹⁹⁷ حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الكوفي (ت: 156هـ)، كان حمزة ممن تجرد للقراءة ونصب نفسه لها وكان ينحو نحو أصحاب، عبد الله لأن قراءة عبد الله انتهت بالكوفة إلى الأعمش، ينظر، أحمد بن موسى بن العباس التميمي ابن مجاهد (ت: 324هـ)، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، (دار المعارف - مصر، ط: 2 1400هـ)، ص71.

¹⁹⁸ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (228 /3).

¹⁹⁹ علي بن حمزة الكسائي (ت: 189هـ)، معاني القرآن، تحقيق: عيسى شحاتة عيسى، ن: (دار قباء للنشر والطباعة، 1998م / 1419هـ) ص46.

تَكْلِيمًا [النساء: 164]، أي حقاً والمعنى هنا تدمير وتخريب كل ماغلبوا عليه، ثم قال تعالى: (عسى ربكم أن يرحمكم)، أي لعل ربكم أن يرحمكم ويعفوا عنكم بقعد أن انتقم منكم يا بني إسرائيل، وبعد ذلك قال تعالى: (وإن عدتم عدنا)، أي إذا عدتم إلى العصيان سنعود نحن إلى إرسال من بعثناه عليكم ليعاقبكم، وذلك ليكون لكم عظة تنتفعون بها وتزجرون عن ارتكاب المعاصي، وبعد أن يرحمكم ويزيل عنكم هذا العذاب، فإن عدتم مرة أخرى إلى المعصية، سنعود إلى صب البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى، قال القفال: 200 لقد فهمنا أن هذه الآية تشير إلى عذاب الدنيا بسبب قوله تعالى في سورة الإعراف عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الإعراف: 167]، ثم قال تعالى: (وإن عدتم عدنا) أي أنهم قد عادوا إلى ارتكاب ما لا ينبغي عليهم فعله وهو التكذيب لمحمد ﷺ، وكتمان ماورد في التوراة والأنجيل، فعاد الله عليهم بالتعذيب على أيدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود خيبر، ماجرى من القتل والجلاء، ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا ملك لهم ولا سلطان، ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، والحصير فعيل، فقد يكون بمعنى الفاعل، أي جعلنا جهنم حاصرة لهم، ويمكن أن يكون بمعنى المفعول، أي جعلناها موضعاً محصوراً لهم، والمعنى هو أن عذاب الدنيا وإن كان شديداً لكنه يمكن أن يتجاوز عنه بعض الناس، سواء بالموت أو بطرق أخرى، اما عذاب الآخرة فإنه يكون حاصراً للإنسان محيطاً به لارجاء في الخلاص منه، فهؤلاء الأقوام لهم من عذاب الدنيا ماوصفناه وبعد ذلك، يكون لهم عذاب الآخرة الذي يكون محاطاً بهم من جميع الجهات ولايتخلصون منه ابداً. 201

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسُئِلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رُبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٢٥﴾ فَأَرَادَ

200 أبي بكر محمد بن علي بن إسماعيل بن الشاشي القفال (ت: 365هـ)، محاسن الشريعة، تحقيق: أبو عبد الله محمد علي سمك، (دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1971م)، ص210.
201 الرازي، مفاتيح الغيب 303 / 20.

أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠١﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٢﴾ [الإسراء: 101، 104].

في تفسير قوله تعالى قول الرازي: وفيه مسائل: المسألة الأولى: المقصود من هذا الكلام هو الرد على قولهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بهذه المعجزات القاهرة، فيقول تعالى: إننا قد اعطينا موسى معجزات تعادل تلك التي طلبتموها بل أعظم منها،²⁰² فلو علمنا أن تحقيقها في زمانكم كان مصلحة لفعلائها كما فعلناها لموسى عليه السلام، وهذا يدل على أننا لم نفعلها في زمانكم لأننا نعلم أنه لا مصلحة في فعلها، المسألة الثانية: ذكر الله تعالى في القرآن الكثير من معجزات موسى عليه السلام، ومنها، أولاً: إزالة العقدة من لسانه، ف قيل في التفسير أنه فصيحاً بعد أن كانت لديه عجمة، ثانياً: تحول العصا إلى حية، ثالثاً: تلقف الحية لحبالهم وعصيتهم رغم كثرتها، رابعاً: اليد البيضاء، خامساً: الطوفان، الذي هو واحد من خمس آيات أخرى، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعاشر: شق البحر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: 50]، والحادي عشر: "الحجر"، قال تعالى: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [الأعراف: 160]، الثاني عشر: إظلال الجبل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: 171]، الثالث عشر: إنزال المن والسلوى عليه وعلى قومه، الخامس عشر: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: 130]، السادس عشر:²⁰³ الطمس على أموالهم من النحل والدقيق، والأطعمة والدراهم والدنانير، روي أن عمر بن عبد العزيز²⁰⁴، سأل محمد بن كعب²⁰⁵، عن التسع آيات

²⁰² الرازي، مفاتيح الغيب 413/21.

²⁰³ الرازي، مفاتيح الغيب 414/21.

²⁰⁴ "عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد الشمس (ت: 101هـ)، الذي أحيا ما أميت قبله من السنن، وسلك مسلك من تقدمه من الخلفاء الأربع، كنيته: كان مولده أبو حفص، مولده سنة إحدى وستين في السنة التي قتل فيها الحسين بن علي، ينظر، ابن حبان الثقات، (دار المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ط: 1393 هـ) 151/5.

²⁰⁵ محمد بن كعب القرظي (ت: 118هـ)، قال ابن حبان عنه، كان من أفضل أهل المدينة علماً وفقهاً، وكان يقص في المسجد، فسقط عليه، سقف، فمات هو وجماعة معه تحت الهدم، ينظر، المزي جمال الدين أبو حجاج يوسف المزي (ت:

البيانات، فذكر حل عقدة اللسان والطمس، فقال عمر بن عبد العزيز: هكذا يجب أن يكون الفقيه،²⁰⁶ إذا فهمنا هذا: فنقول إن الله تعالى ذكر الستة عشر معجزة لموسى عليه السلام، وفي هذه الآية قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، تخصيص التسعة بالذكر لا ينفي وجود معجزات أخرى، لأن تخصيص العدد في الأصول الفقهية لا يدل على نفي الزائد.²⁰⁷

لقد أئفق العلماء على سبعة من هذه التسع وهي: العصا، واليد، الطوفان، الجراد، القمل، الضفادع، والدم، بقي اثنان، ولكل مفسر قول مختلف فيهما، ولكن لم تستند تلك الأقوال إلى حجة يقينية، لاجرم تركت تلك الروايات، وفي تفسير قوله تعالى: "تسع آيات بينات"،²⁰⁸ أقوال أجودها ماروي صفوان بن عسال،²⁰⁹ أنه قال: "جاء يهودي إلى النبي ﷺ، ليسأله عن تسع آيات، فقال النبي ﷺ: أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنة، ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت، فقام اليهوديان فقبلا يدي النبي ﷺ وقالوا: نشهد أنك بنو لا نخاف القتل لا تبعناك"²¹⁰، المسألة الثالثة: قال تعالى: فَسَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ، فيه مباحث:

البحث الأول: فيه وجوه، الوجه الأول: أن هذا اعتراض في الكلام والتقدير: ولقد آتينا موسى عليه السلام تسع آيات بينات إذ جاء بني إسرائيل فاسألهم، وهذا ليس طلب من سؤال بني إسرائيل أن يستفيد هذا العلم منهم بل المقصود أن يظهر لعامة اليهود وعلمائهم، صدق ما ذكره الرسول، فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد، الوجه الثاني: أن يكون المعنى: فسئل بني إسرائيل أي سلمهم عن فرعون، وقل له أرسل بني معي بني إسرائيل، الوجه الثالث: أن يسألهم أي بني إسرائيل، عن الإيمان الصالح والتمس أن يوافقوك، وعلى هذا التأويل فالتقدير: "قلنا لهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك، البحث الثاني: أمر الرسول

742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د بشار عواد معروف، (مؤسسة الرسالة، بيروت ط: 1، 1413هـ/ 1992م) 340/26.

²⁰⁶ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت: 775هـ)، اللباب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، ن (دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: 1، 1419هـ/ 1998م) 392/10.

²⁰⁷ الرازي، مفاتيح الغيب 414/21.

²⁰⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 415/21.

²⁰⁹ صفوان بن عسال المرادي، ثم الربضي، الجملي، الكوفي (ت: 40هـ)، صحابي معروف، غزا مع النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثنتي عشرة غزوة، ينظر، ابن حجر، تهذيب التهذيب، أعتى به: إبراهيم الزبيق، عادل رشيد، (مؤسسة الرسالة، بيروت ط: 1، 1435هـ/ 2041م)، 213/2.

²¹⁰ البخاري، صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب من لا يؤمن بالقضاء والقدر، رح: 6520.

﴿بأن يسأل بني إسرائيل الذين كانوا موجودين في زمنه، والذين جاءهم موسى هم الذين كانوا في زمانه، ولكن كناية هنا تشير إلى أن الذين كانوا في زمن محمد ﷺ، هم أولاد أولئك الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام، ثم أخبر تعالى أن فرعون قال موسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾، وفي لفظ المسحور وجوه: الأول قال الفراء²¹¹: إنه بمعنى الساحر كالمشؤوم والميمون، وذكرنا هذا في قوله: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 44]، الثاني: بمعنى مسحوراً من الناس الذين سحروه وأثروه فتقول هذه الكلمات"، الثالث: "قال محمد بن جرير الطبري: معناه أعطيت علم.²¹²

عندما قال فرعون إن موسى عليه السلام، يأتي بهذه العجائب بفعل السحر، ثم أجابه موسى عليه السلام بقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وفيه مباحث: البحث الأول: قرأ الكسائي علمت بضم التاء أي علمت أنها من علم الله،²¹³ أي أن موسى عليه السلام يقول: علمت أنها من علم الله، فإن علمت وأقررت وإلا هلكت، والباقون بالفتح، وضم التاء قراءة علي، وفتحها قراءة ابن عباس، وكان علي رضي الله عنه، يقول والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنه، فاحتج بقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا﴾ [النمل: 14]، على أن فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة امر موسى عليه السلام، قال الزجاج²¹⁴: الأجود في القراءة الفتح لأن علم فرعون بأنها آيات نازلة من عند الله أوكد، في الحجة فاحتجاج موسى عليه السلام، على فرعون بعلم فرعون أوكد من الاحتجاج بعلم نفسه، وأجاب الذين ناصروا قراءة علي عليه السلام، عن دليل ابن عباس، فقالوا: قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾.

²¹¹ أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ابن الفراء (ت: 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، (دار المصرية للتأليف والترجمة مصر، ط: 1) 2/ 133.
²¹² الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن 569/17.
²¹³ ابن مجاهد، السبعة في القراءات ص 385.
²¹⁴ الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد 3/ 131.

يدل على أنهم أَسْتَيْقِنُوا شيئاً ما، ولكن ليس في الآية ما يدل على أنهم استيقنوا كون هذه الآيات نازلة من عند الله، وأجابوا عن الوجه الثاني بأن فرعون قال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: 27]، فرد موسى عليه السلام قائلاً: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾، وكأنه نفى ذلك، وقال: لقد علمت صحة ما أتيت به علماً صحيحاً، علم العقلاء، وأعلم أن هذه الآيات من عند الله ولا تشك بذلك بسبب سفاهتك، البحث الثاني: التقدير هو: ما أنزل هؤلاء الآيات، ونظيره قوله: والعيش بعد أولئك الأقوام، أما بصائر فتعني حججاً بنية كأنها بصائر العقول، وتحقيق الكلام أن المعجزة فعل خارق للعادة فعله فاعله لغرض تصديق المعنى، معجزات موسى عليه السلام كانت موصوفة بهذين الوصفين، لأنها كانت أفعالاً خارقة للعادة، وعقول الناس تشهد بأن قلب العصا إلى حية معجزة عظيمة، لا يقدر عليها إلا الله، ثم إن تلك الحية تلقف حبال السحرة وعصبيهم على كثرتها، ثم عادت عصا كما كانت، فأصناف تلك الأفعال لا يقدر عليها أحد إلا الله، وكذا القول في فلق البحر وإظلال الجبل، فثبت أن تلك الأشياء ما أنزلها إلا رب السماوات، الصفة الثانية: انه تعالى إنما خلقها لتدل على صدق موسى عليه السلام في دعوى النبوة، وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، حال كونها بصائر، أي دالة على صدق موسى عليه السلام في دعواه، وهذه الدقائق لا يمكن فهمها من القرآن إلا بعد إتقان علم الأصول، وأقول إنه من البعيد أن يصبح غير علم الأصول العقلي قاهراً في تفسير كلام الله، ثم ذكر تعالى أن موسى قال لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: 103]، واعلم أن فرعون قال لموسى: "إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا"، قال له: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾،²¹⁵ قال الفراء²¹⁶: المثبور هو الملعون المحبوس عن الخير، والعرب تقول: ماثبرك عن هذا أي مامنك منه وماصرفك، وقال أبو زيد: يقال ثبرت فلاناً

²¹⁵ الرازي، مفاتيح الغيب 415/21.
²¹⁶ ابن الفراء، معاني القرآن 3/ 134.

عن الشي أثبره أي رددته عنه،²¹⁷ وقال مجاهد وقتادة: هالكاً،²¹⁸ وقال الزجاج:²¹⁹ يقال ثبر الرجل فهو مثبور إذا هلك، والثبور الهلاك ومن معروف الكلام فلان يدعو بالويل والثبور عند مصيبة تناله، قال تعالى: ﴿دَعُوا هَٰذَا ثُبُورًا ۖ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: 13، 14]، وأعلم أن فرعون لما وصف موسى عليه السلام بأنه مسحور، أجابه موسى بأنه مثبور، يعني أن هذه الآيات واضحة، وهذه المعجزات قاهرة، ولا يرتاب العاقل في أنها من عند الله، وأنه تعالى إنما أظهرها لأجل تصديقي، وأنت تنكرها، فلا يحملك على هذا الإنكار إلا الحسد والعناد والغبي والجبل وحب الدنيا، ومن كان كذلك كانت عاقبة الدمار والثبور، قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾، أي أراد فرعون أن يخرج موسى عليه السلام، وقومه بني إسرائيل من أرض مصر وفسر الزجاج:²²⁰ الاستفزاز بأنه قد يكون بالإخراج عن طريق القتل أو الأبعاد، ثم قال تعالى: ﴿فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾، مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [الفرقان: 43]، أراد فرعون أن يخرج موسى من أرض مصر لتصبح البلاد خالصة له، ولكن الله تعالى أهلك فرعون وجعل ملك مصر خالصاً لموسى وقومه، وقال لبني إسرائيل: "اسكنوا الأرض خالصة لكم خالية من عدوكم".²²¹

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾، مشيراً إلى القيامة، حيث سيجمع الله الناس جميعاً، واللفيف²²² هو الجمع العظيم من مختلف الأجناس والطبقات، من الشريف والدنيء، والمطيع والعاصي، والقوي والضعيف، كل شيء يخلط بشيء آخر يسمى لفيفاً، ومنه قيل: (للفت الجيوش) إذا خلطت بعضها

²¹⁷ ابن منظور، لسان العرب 4/ 99.

²¹⁸ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت: 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ن: (دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت ط: 1، 1419 هـ)، 115/5.

²¹⁹ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه 263/3.

²²⁰ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه 263/3.

²²¹ الرازي، مفاتيح الغيب 416/21.

²²² ابن منظور، لسان العرب 318/9.

ببعض، ويقال: "التفت الزحوف" قال تعالى: ﴿وَأَلْتَقَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾²²³ [القيامة: 29]، والمعنى: جننا بكم

من قبوركم إلى المحشر أخلاطاً، أي جميع الخلق من المسلمين والكافرين، والبر والفاجر.²²⁴

أسلوب الرازي في تفسير هذه الآيات:

أتبع الرازي منهجاً تحليلياً دقيقاً يعتمد على الجمع بين التفسير بالمأثور (النقلي) والتفسير (العقلي)، وفيما يلي الأسلوب الذي اتبعه الرازي في تفسير هذه الآيات يفصل بالأقوال ويستخلص ويرجح

في تفسيره الآية (102)، يعرض الرازي مختلف التفاسير المتعلقة بتسع الآيات التي أعطاها الله لموسى عليه السلام فيذكر آراء المفسرين الذين قالوا إن هذه الآيات هي السبعة من التسع هي العصا، اليد البيضاء، والضفادع، والقمل بقي اثنان، ولكل مفسر قول مختلف فيهما، ولكن لم تستند تلك الأقوال إلى حجة يقينية، لاجرم تركت تلك الروايات، والآيات المتفرقة التي ظهرت لبني إسرائيل في مصر، بعد عرض الآراء المختلفة، يقوم الرازي بنقدها ومقارنتها، محاولاً التوصل إلى التفسير الأرجح والأكثر اتساقاً مع السياق القرآني، ويقوم بموازنة الأدلة التي يقدمها كل تفسير، سواء كانت أدلة لغوية أو نقلية (من الأحاديث والآثار) أو عقلية.²²⁵

يتعرض إلى اللطائف اللغوية والنحوية ويفسر ألفاظ القصة:

اللطائف اللغوية: كلمة آتينا، إيتاء يأتي بمعنى الإعطاء والتمكين، استخدم هذا الفعل يشير إلى العطاء المباشر من الله إلى موسى عليه السلام، مما يدل على العناية الإلهية الخاصة بنبيينا موسى عليه السلام، كلمة تسع، تسع آيات: العدد "تسع" يعبر عن عدد محدد من الآيات البينات، الأعداد في القرآن غالباً ماتحمل دلالات خاصة وتحديد العدد هنا يشير إلى الوضوح والتحديد في المعجزات الممنوحة لموسى عليه السلام، كلمة بينات تعني: الواضحات أو المعجزات الجلية هذه الكلمة توحى بأن الآيات التي أعطاها الله لموسى عليه السلام،²²⁶ كانت واضحة ومقنعة لا لبس فيها ولا غموض، كلمة (مسحوراً) قد تعني مصاباً بالسكر أو مخدوعاً، كما يمكن ان تعني مغلوباً على عقله، استخدام هذه الكلمة يعكس اتهام فرعون لموسى

²²³ ابن منظور، لسان العرب 320/9.

²²⁴ الرازي، مفاتيح الغيب 416/21.

²²⁵ الرازي، مفاتيح الغيب 416/21.

²²⁶ الرازي، مفاتيح الغيب 414/21.

عليه السلام بأنه متأثر بقوى خارجة عن إرادته، مما يعبر عن سعي فرعون لتشويه سمعة موسى عليه السلام والتقليل من شأن معجزاته.

اللطائف النحوية:

الجملة المؤكدة ب (لقد) أداة توكيد، تؤكد على وقوع الحدث وتحققه استخدام "لقد" هنا يؤكد على حقيقة إعطاء الله لموسى تسع آيات بينات، البناء للمجهول في (أتوا)، الفعل "أتوا" مبني للمجهول "أعطوا" بدون ذكر الفاعل، وعلى هذا يعطي أهمية للآيات نفسها وللحدث أكثر من الشخص الذي أعطاه، مع التأكيد على أن المعطي هو الله تعالى بشكل ضمني، الجملة الاعتراضية تأتي لتوجيه القارئ إلى الشهادة على وقوع الحدث من بني إسرائيل وهي تعطي مصداقية إضافية للقصة حيث أن بني إسرائيل عاشوا التجربة وشاهدوا الآيات، استخدام الفعل الماضي (أتينا) يشير إلى حدث تم وانتهى مما يعطي الثقة والتأكيد على أن الإتياء قد تم فعلاً، الجملة الفعلية (فقال له فرعون)، بداية الجملة بالفعل "فقال" تعطي تسلسلاً زمنياً للأحداث، مما يساعد في تصور التتابع السردى للقصة، سياق الحوار الآية تقدم جزءاً من الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون، وتفصي الكلمات واختيارها يعكس هذا السياق الجدلي بين الحق الذي يمثله موسى عليه السلام والباطل الذي يمثله فرعون.²²⁷

العلاقة بين الألفاظ والمعاني

الربط بين الكلمات مثل "تسع" و"بينات" و"مسحورا" يعكس طبيعة المعجزات وأثرها على المتلقين، سواء بني إسرائيل الذين امنوا بموسى عليه السلام أو فرعون الذي حاول التشكيك فيها.²²⁸

يستعين في فهم تفاصيل القصة بالروايات التفسير بالمأثور

يعتمد على النصوص المروية عن النبي ﷺ، التي تفسر الآية في تفسير واثبات انها تسع آيات ويقول "وأجود الأقوال ماروي عن صفوان بن عسال انه قال: جاء يهودي إلى النبي ﷺ ليسأله عن تسع آيات بينات الحديث سبق ذكره آنفاً، وبقوله في موطن آخر يستشهد بقول الصحابة: ماروي عن عمر بن

²²⁷ الرازي، مفاتيح الغيب 414/21.

²²⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 414/21.

عبد العزيز، سأل محمد بن كعب عن التسع آيات البينات، فذكر حل عقدة اللسان والطمس، فقال عمر بن عبد العزيز: هكذا يكون الفقيه الرواية.²²⁹

في علم البلاغة والبيان يفصل ويذكر والوجه ويستنبط: بقوله: ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات إذ جاء بني إسرائيل فاسألهم، وهذا ليس طلب من سؤال بني إسرائيل أن يستفيد هذا العلم منهم بل المقصود أن يظهر لعامة اليهود وعلمائهم، صدق ما ذكره الرسول، فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد، الوجه الثاني: أن يكون المعنى: فسئل بني إسرائيل أي سلمهم عن فرعون، وقل له أرسل بني معي بني إسرائيل، الوجه الثالث: أن يسألهم أي بني إسرائيل، عن الإيمان الصالح والتمس أن يوافقوك، وعلى هذا التأويل فالتقدير: "قلنا لهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك"، البحث الثاني: أمر الرسول ﷺ، بأن يسأل بني إسرائيل الذين كانوا موجودين في زمنه، والذين جاءهم موسى هم الذين كانوا في زمانه، ولكن كناية هنا تشير إلى أن الذين كانوا في زمن محمد ﷺ، هم أولاد أولئك الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام.²³⁰

يستعين بأقوال المفسرين لدعم تفسيره: بقوله في لفظ: "المسحور"، قال الفراء: إنه بمعنى الساحر كالمشؤوم والميمون، وبقوله قال: محمد بن جرير الطبري أعطيت علم.²³¹

يسير القراءات ويذكر القراءة الصحيحة: في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يقول: قرأ النسائي علمت بضم التاء، أي علمت أنها من علم الله، ويذكر قراءة علي عليه السلام، وابن عباس رضي الله عنه، ويذكر الآراء ويرجح ويختار القراءة المتواترة.²³²

يستخلص المسائل الفقهية من القصة: قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قوله: "حال كونها بصائر، أي دالة على صدق موسى في دعواه"، ويقول: "وهذه الدقائق لا يمكن فهمها من القرآن إلا بعد إتقان علم الأصول، وأقول إنه من البعيد أن يصبح غير علم الأصول قاهرًا في تفسير كلام

²²⁹ الرازي، مفاتيح الغيب 414/21.

²³⁰ الرازي، مفاتيح الغيب 414/21.

²³¹ الرازي، مفاتيح الغيب 414/21.

²³² الرازي، مفاتيح الغيب 415/21.

الله، ثم يذكر قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرَعُونَ مَثْبُورًا﴾، يشير إلى أن هناك دقائق وتفصيل دقيقة في الآيات القرآنية تحتاج إلى معرفة عميقة ودراية بالقواعد الأصولية لفهمها الصحيح للسياق، ومعرفة المقاصد الشرعية، والتميز بين المحكم والمتشابه، التي يتناولها علم الأصول.²³³

يذكر مواطن ذكر القصة في القرآن: مجاء ذكره في سورة البقرة: (آية: 50)، وسورة الأعراف آية: 160، ونفس السورة آية: 171، وسورة الأعراف آية: 130)، وجاء ذكرها من الرسالة: (ص74). وهي مواضع يذكر فيها قصة نبينا موسى عليه السلام، ويستدل بالآيات التي أعطى له. وهذا من أسلوبه يستخدم النصوص القرآنية المتعددة لدعم تفسيره.

يتعرض لذكر الحكمة والغاية: مثل قوله تعالى في: (الآية: 102 من سورة الإسراء)، يرى الرازي: أن الآية تظهر قوة الله وعظمته، حيث منح الله تعالى نبيه موسى عليه السلام، تسع آيات بينات كدلائل وبراهين على صدقه ورسالته، مشيراً بذلك إلى الآية أن الله أظهر هذه الآيات ليكون دليلاً قاطعاً على صدق النبي موسى عليه السلام ورسالته، وليكون ذلك سبباً في استجابة بني إسرائيل لما دعا إليه.

يتعرض للإشارات واللطائف ويستشهد بأقوال العلماء: مثل الرازي يوضح كلمة "لفيفاً" تعني الجمع من من أماكن متعددة، ويدعم تفسيره بأقوال اللغويين مثل: الزجاج يشرح "اللفيف" يعني الجمع الملتف من كل نوع، وابن منظور يشرح أن "اللفيف" هو الجماعة من الناس يجتمعون من أماكن.²³⁴

ويظهر من أسلوب الرازي في تفسيره هذه الآيات يجمع بين التأصيل العلمي، والتحليل اللغوي، والتفسير النقلي والعقلي، والتعرض لللطائف والإشارات، والاستشهاد بأقوال العلماء لتوضيح المعاني اللغوية، هذا يجعل تفسير الرازي لهذه الآيات تفسيراً شاملاً ومتعمقاً، يجمع بين التحليل العلمي والفلسفي للنصوص القرآنية.

²³³ الرازي، مفاتيح الغيب 415/21.

²³⁴ الرازي، مفاتيح الغيب 416/21.

المطلب الثاني: قصة آدم عليه السلام مع إبليس

﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۖ ۞ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ۖ ۞ ﴾ [الإسراء: 61، 62، 63].

الرازي في تفسير هذه الآيات، وما نلاحظه من أسلوبه يقسم تفسيره إلى مسائل، وعادة ما يقول في كيفية النظم ومن ثم يشرع في الكلام والتفصيل ماعناه في كيفية النظم هو: الترتيب بين الآيات والأجزاء المختلفة من النص القرآني، وكيف يرتبط كل جزء بآخر بطريقة تؤدي إلى فهم أعمق للمعاني.²³⁵

يقول الرازي في تفسيره للآيات:

المسألة الأولى: في كيفية النظم هناك عدة وجوه: الأول: يجب أن نعلم أنه عندما ذكر الله أن رسول الله ﷺ، كان في محنة عظيمة من قومه وأهل زمانه، فقد أظهر أن حال الأنبياء مع أهل زمانهم كان يماثل ذلك أليس كذلك؟، آدم عليه السلام كان أول الأولياء، وكان في محنة شديدة من إبليس، الوجه الثاني: أن القوم انزعجوا رسول الله ﷺ، وعاندوه واقترحوا عليه الاقتراحات الباطلة لأمرين: الكبر والحسد، أما الكبر منعهم من الانقياد، والحسد لأنهم حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والدرجة العالية، بين الله تعالى أن هذا الكبر والحسد هما حملا لإبليس على الخروج من الإيمان والدخول في الكفر، وهذه بلية قديمة ومحنة عظيمة للخلق، والثالث: الله تعالى وصفهم قائلًا: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 60]، بين الله تعالى أن سبب حصول هذا الطغيان هو قول إبليس: لأحتكن ذريته إلا قليلاً، لأجل هذا المقصود من ذكر الله تعالى قصة إبليس و آدم، هذا هو الكلام في كيفية النظم.²³⁶

المسألة الثانية: يجب أن نعلم أن هذه القصة ذكرت في سبع سور: البقرة، الأعراف، الحجر، الكهف، طه، ص، والكلام المستقصى فيه قد تقدم في البقرة والأعراف والحجر فلا فائدة في الإعادة ولا بأس بتعديد بعض المسائل: المسألة الأولى: هناك اختلاف فيما إذا كان المأمورون بالسجود لآدم هم جميع

²³⁵ الرازي، مفاتيح الغيب 365/21.

²³⁶ الرازي، مفاتيح الغيب 365/21.

الملائكة أم ملائكة الأرض فقط، يبدو أن لفظ "الملائكة" يدل على العموم، إلا أن قول الله تعالى في آخر سورة الأعراف في صفة ملائكة السماوات: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: 206]،²³⁷ يوجب استثناء

ملائكة السماء من هذا العموم، المسألة الثانية: المراد من هذه السجدة هو وضع الجبهة على الأرض أو التحية، وحسب الأول، كان المسجود هو آدم أو يقال كان المسجود له، هو الله وآدم كان قبله للسجود؟، المسألة الثالثة: هل كان إبليس من الملائكة أم لا؟ وإن لم يكن من الملائكة، كيف يفسر أمر الملائكة بالسجود؟ المسألة الرابعة: هل كان إبليس كافراً منذ البداية أم أنه كفر في ذلك الوقت؟ المسألة الخامسة: هل السجود لآدم من قبل الملائكة من أول ما مكملت حياته أو بعد ذلك، المسألة السادسة: شبهة إبليس في الامتناع ويرفض السجود؟ هل كان بسبب قوله: (ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)، أم لسبب آخر؟، المسألة

السابعة: هل دلت الآيات على أن إبليس كان يعرف ربه، ولكنه وقع في الكفر بسبب الكبر والحسد؟ وهل هناك من أنكر وجود الله وما عرفه البتة؟ إن الله تعالى ذكر في هذه الآية عن إبليس نوعاً واحداً من العمل ونوعين من القول، فالعمل الذي تحدث عنه هو امتناع إبليس عن السجود لآدم، وهو ما يعنيه قوله تعالى: (فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ).²³⁸

أما النوعان من القول: النوع الأول: قوله: (ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)، وهذا استفهام ومعناه هنا الإنكار، أي أن إبليس يعتقد أنه أفضل آدم عليه السلام أصلاً، ولذلك يجب أن يكون هو الأفضل، ويرى أنه من غير المناسب أن يؤمر الأفضل بخدمة الأدنى.²³⁹

النوع الثاني: قوله: (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ)، حيث قال الزجاج²⁴⁰: إن معنى قوله (أَرَأَيْتَكَ) هو (أخبرني)، وقد استقصينا في تفسير هذه الكلمة في سورة الأنعام وقوله: (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ)، فيه عدة وجوه، الأول: يعني: أخبرني عن هذا الذي فضلته علي، ولم فضلته عليّ وأنا خير منه؟ ثم

²³⁷ الرازي، مفاتيح الغيب 365/21.

²³⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 365/21.

²³⁹ الرازي، مفاتيح الغيب 366/21.

²⁴⁰ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه 249/3.

اختصر الكلام لكونه مفهوماً، الثاني: يمكن أن يقال أن مبتدأ حذف منه حرف الاستفهام، والذي معه خبر، تقديره: أخبرني هذا الذي كرمتم علي، وذلك بطريقة الاستصغار والاستحقار، وقد حذف حرف الاستفهام لأن وجوده في قوله "أرأيتك" يكفي تكراره، الوجه الثالث: أن يكون هذا مفعولاً لـ "أرأيت"، لأن الكاف جاءت لمجرد الخطاب لا محل لها، كأنه قال على وجه التعجب والإنكار: أبصرت أو علمت هذا الذي كرمته علي، بمعنى لو أبصرت أو علمته لكان يجب أن لا تكرمه علي، هذا هو حقيقة هذه الكلمة، ثم قال تعالى حكاية عنه: (لَيْنَ أَخْرَتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا).²⁴¹

وفيه مباحث البحث الأول: يشير إلى أن ابن كثير قرأ: ²⁴² "إن أخرتني إلى يوم القيامة"، بإثبات الياء في الوصل والوقف، بينما قرأ عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي بالحذف، وقرأ نافع وأبو عمرو بإثباتها في الوصل دون الوقف، البحث الثاني: في معنى الاحتناك يتضمن وجهين: الأول: أن الاحتناك يعني الاستخراج بالكلية، كما يقال: "احتناك فلان ماعند فلان من مال" إذا استقصاه وأخذه بالكامل، وكذلك يقال: "احتناك الجراد الزرع" إذا أكله بالكلية، الثاني: أن الاحتناك يأتي من قول العرب "حنك الدابة" إذا وضع في حنكها الأسفل حبلاً يقاد به²⁴³، وقد قال أبو مسلم: الاحتناك افتعال من الحنك كأنهم يملكونهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه، فعلى القول الأول، معنى الآية هو: "لأستأصلنهم بالإغواء"، وعلى القول الثاني، معناها: "لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحبلها"، البحث الثالث يقول: "إلا قليلاً"، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42].²⁴⁴

إذا سئل كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم، فإن لهذا وجوهاً: الأول: "أنه سمع الملائكة يقولون: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: 30]، فعرف هذه الأحوال، الثاني: أنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزمًا، فقال الظاهر أن أولاده سيكونون مثله في ضعف العزم²⁴⁵، الثالث: أنه

²⁴¹ الرازي، مفاتيح الغيب 367/21.

²⁴² ابن عادل، اللباب 326/12.

²⁴³ ابن عادل، اللباب 326/12.

²⁴⁴ الرازي، مفاتيح الغيب 366/21.

²⁴⁵ الرازي، مفاتيح الغيب 367/21، الوجه الذي ذكر يتعارض من نص الآية الكريمة التي يقول فيها الله تعالى لملائكته المكرمين: "فَإِذَا سُوِيَتْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ". (الحجر: 29، 30).

عرف أن الإنسان مركب من قوة بهيمية شهوانية، وقوة سبعية غضبية، وقوة وهمية شيطانية، القوة العقلية الملكية، وعرف أن القوى الثلاث (الشهوانية، والغضبية، والوهمية)، تكون هي المسؤولة في بداية الخلقة، ثم تكمل القوة العقلية في النهاية، ومتى كان الأمر كذلك، كان مذكروه إبليس صحيحاً، واعلم أنه تعالى لما حكى عن إبليس ذلك، ذكر أنه قال له : اذهب، وهذا ليس بمعنى الذهاب الذي هو نقيض القدوم، بل معناه امض لشأنك الذي اخترته، والمقصود هو التخليّة وتفويض الأمر إليه، ثم قال تعالى: (فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا)، ونظيره قول موسى (عليه الصلاة والسلام): ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: 97]، فإذا قيل: أليس الأولى أن يقال: (فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا)، ليعود الضمير إلى قوله: "فمن تبعك"؟ نقول في ذلك عدة وجوه: الأول: التقدير، فإن جهنم وجزاؤهم وجزاؤكم، ثم غلب المخاطب على الغائب، فقيل: "جزاؤكم" الثاني: يجوز أن يكون هذا الخطاب مع الغائبين على طريقة الالتفات، والثالث: قال النبي ﷺ: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزُرْهَا وَوَزُرْ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، في هذا السياق تعد كل معصية وزراً لإبليس بقدر وزر مرتكبها، ولأن إبليس هو المستهدف الرئيسي في جميع المعاصي، يعامل كمن ينذر، قال تعالى: (جَزَاءً مَّوْفُورًا)، هذا اللفظ يأتي بأكثر من معنى، فالمعتدي يعني أن يجرم أو يخرج وفاقراً ووفرةً، وهذا تفسير لمن غير عرضه، كما في قول الشاعر: وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ... يُشْتَمُّ²⁴⁶، وأما اللازم فهو كما في قوله: "وَفَرَّ الْمَالُ يَفِرُّ وَفُورًا فَهُوَ وَافِرٌ" فعلى التقدير الأول يكو نالمعنى جزاءً موفوراً موفراً، وعلى الثاني يكون المعنى جزاءً موفراً وافراً، ونتصّب قوله "جزاء" على المصدر.²⁴⁷

أسلوب الرازي وطريقة تفسيره الآيات مايلي:

²⁴⁶ حسين بن أحمد بن حسين الزوزني، أبو عبد الله (ت: 486هـ)، شرح المعلقات السبع، (دار احياء التراث العربي بيروت، ط:1، 1423هـ/2002م)، ص150.
²⁴⁷ الرازي، مفاتيح الغيب 367/21.

يفصل في الأقوال ويذكر المناسبة: مثال ذلك قال تعالى: (فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) [الإسراء:

60]، ويقول: "بين الله تعالى أن سبب حصول هذا الطغيان هو قول إبليس: (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا)،

لأجل هذا المقصود ذكر الله تعالى قصة إبليس و آدم.

يذكر مواطن القصة في القرآن الكريم: مثال ذلك قوله: يجب أن نعلم أنه عندما ذكر الله أن رسول الله ﷺ، كان في محنة عظيمة من قومه وأهل زمانه، فقد أظهر أن حال الأنبياء مع أهل زمانهم كان يماثل ذلك أليس كذلك؟، آدم عليه السلام كان أول الأولياء، وكان في محنة شديدة من إبليس، الوجه الثاني: أن القوم نازعوا رسول الله ﷺ، وعاندوه واقترحوا عليه الاقتراحات الباطلة لأمرين: الكبر والحسد، أما الكبر منعهم من الانقياد، والحسد لأنهم حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والدرجة العالية، بين الله تعالى أن هذا الكبر والحسد هما حملا إبليس على الخروج من الإيمان والدخول في الكفر، وثم يقول يجب أن تعلم أن هذه القصة ذكرت في سبع سور: البقرة، الأعراف، الحجر، الكهف، طه، ص، والكلام المستقصى فيه قد تقدم في البقرة والأعراف والحجر".²⁴⁸

يذكر الأقوال في تعيين المبهم وتخصيص العام وبيان المجهل:

تعيين المبهم: مثال ذلك يحدد الرازي من هم المقصودين بالأمر بالسجود في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ)، ويقول في كلمة "الملائكة" هنا تكون مبهمة إذا لم يكن واضحاً ما إذا كانت تشير إلى جميع الملائكة أم مجموعة معينة منهم، عن طريق الاستدلال بالآيات الأخرى، يوضح الرازي أن الأمر قد يكون موجهاً إلى ملائكة الأرض فقط، مستنداً إلى آية، وله يسجدون" في سورة الأعراف (206)، التي قد تشير إلى ملائكة السماوات، مما يخصص الأمر بملائكة الأرض.

تخصيص العام: في هذا المفهوم من لفظ الملائكة²⁴⁹ على الرغم من أن اللفظ في ظاهره يشمل جميع الملائكة، إلا أن وجود أدلة مثل آية الأعراف يمكن أن يخصص هذا العموم بملائكة الأرض، هذا

²⁴⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 365/21.

²⁴⁹ الرازي، مفاتيح الغيب 365/21.

هو مثال واضح على تخصيص العام، حيث يفهم السياق والآيات الأخرى أن الأمر بالسجود لم يكن موجهاً لكل الملائكة السماوات والأرض، بل لملائكة الأرض فقط.

بيان المجمل: الرازي يوضح الأمر المجمل في قوله تعالى: (اسجدوا لآدم) في تفسير النص يبين لنا الرازي أن السياق القرآني وآيات أخرى قد تفسر هذا الأمر مثل ما جاء ذكره آنفاً، عن طريق مقارنة النصوص المختلفة، يبين أن الأمر بالسجود قد يكو موجهاً إلى فئة معينة من الملائكة، مما يزيل الإبهام ويوضح النص المجمل.²⁵⁰

التفريع على المسائل:

وهو تقسيم القصة إلى عدة مسائل رئيسية وفرعية مثل: يبدأ الرازي بتحديد المسائل الرئيسية التي يريد مناقشتها، في قصة آدم وإبليس نراه كيف يتناولها، من خلال وضع أسئلة ويناقشها ويرد عليها بالأدلة ويقول: من هم المأمورون بالسجود لآدم؟، لماذا رفض إبليس السجود؟، ماهي العواقب التي ترتبت على رفض إبليس السجود؟، بعد تحديد المسائل الرئيسية، يبدأ الرازي في التفريع على كل مسألة، أي تقسيمها إلى نقاط فرعية لمناقشتها بالتفصيل، مثال على التفريع: مسألة من هم المأمورون بالسجود لآدم؟، يناقش الرازي ما إذا كان الأمر بالسجود موجهاً لجميع الملائكة أم لملائكة الأرض فقط، يستشهد بآيات مختلفة ليبين وجهة نظره، مثل آية "ولهم يسجدون" الأعراف (206)، مسألة رفض إبليس السجود، يوضح الدوافع وراء رفض إبليس، مثل الكبر والحسد، ويناقش الرازي العواقب التي ترتبت على إبليس بعد رفضه السجود، مثل اللعنة والطرده من الجنة.²⁵¹

الربط بين المسائل:

بعد مناقشة كل مسألة فرعية يقوم الرازي يربط هذه المسائل بالموضوع الأساسي، ليعطي رؤية شاملة ومتكاملة، يربط بين سبب رفض إبليس للسجود (الكبر والحسد) وبين العواقب التي لحقت به

²⁵⁰ الرازي، مفاتيح الغيب 365/21.

²⁵¹ الرازي، مفاتيح الغيب 365/21.

(اللجنة والطرده من الجنة)، ويوضح كين أن هذه القصة تعكس صراعاً مستمراً بين الحق والباطل، والكبر والتواضع، والطاعة والمعصية.²⁵²

يتعرض للأشارات واللطائف اللغوية والنحوية ويستشهد بأقوال العلماء ويفصل بالأقوال ويستنبط مانراه في تفسيره لهذه الآيات وطريقة أسلوبه وتفسير للسياق القرآني، مثال ذلك قوله تعالى: (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) في تفسير كلمة "أرأيتك" يستشهد الرازي بمفسرين آخرين مثل الزجاج لتوضيح المعاني اللغوية لكلمة "أرأيتك" تعني "أخبرني" ويعلق ويقول ويفصل بالأقوال: يعرض ثلاث تفسيرات مختلفة للآية، كل منها يتم مناقشته بشكل مستقل، الوجه الأول: يشرح المعنى المباشر لـ "أخبرني" عن هذا الذي فضله علي" الوجه الثاني: يقدم تفسير نحوي حيث يتم حذف الاستفهام للدلالة على الاستصغار، الوجه الثالث: يناقش كيفية اعتبار "هذا" مفعولاً لـ "أرأيت" مع التعجب والإنكار.²⁵³

يستنبط معاني أعمق من خلال تحليل اللطائف الغوية والنحوية، ويبين كيف يمكن لكل تفسير أن يعكس موقفاً مختلفاً لإبليس (الاستصغار، الإنكار، التعجب)، التحليل اللغوي في كلمة "أحتتكن" مشتقة من كلمة "حنك" والتي تعني السيطرة الكاملة، وفي كلمة "إلا قليلاً" يستنبط الرازي المعاني العقائدية موضحاً دلالة الاستثناء "إلا قليلاً" يناقش مما يعنيه هذا الاستثناء بالنسبة للصراع بين الخير والشر، وإثبات أن هناك من الناس من يصمد أمام إغواء الشيطان، الربط بالسياق مثال ذلك يربط الرازي هذه الآية بآيات أخرى في القرآن تتحدث عن شر إبليس لإغواء البشر، مما يساعد على فهم السياق الأوسع للقصة مثال على ذلك في كلمة "إلا قليلاً" مستدل بقوله تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ).

ويقوم بذكر الوجوه ففي ذكره كيفية إبليس وسوس لآدم يقول: إذا سئل كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم، فإن لهذا وجوهاً: الأول: "أنه سمع الملائكة يقولون: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 30]،²⁵⁴ فعرف هذه الأحوال، الثاني: أنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزمًا، فقال الظاهر

²⁵² الرازي، مفاتيح الغيب 365/21.

²⁵³ الرازي، مفاتيح الغيب 366/21.

²⁵⁴ الرازي، مفاتيح الغيب 366/21.

أن أولاده سيكونون مثله في ضعف العزم، ويذكر هنا الوجه الذي ذكر يتعارض من نص الآية الكريمة التي يقول فيها الله تعالى لملائكته المكرمين: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ....) (الحجر: 29، 30)، إذ إن الآية توضح أن الأمر بالسجود لأدم وجوده قبل الوسوسة، ولو كانت الوسوسة قد حدثت قبل السجود، فإن ذلك كان يستلزم أن الملائكة جميعاً قد سجدوا لأدم بعد المعصية، وهو أمر لا يليق ولا يمكن تصوره، وبالتالي ينبغي تجاوز هذا الوجه من الفهم.

ومن اللطائف اللغوية والنحوية:

في معني كلمة "اذهب" ويقول هو ليس بمعنى الذهاب الذي هو نقيض القوم، بل معناه امض لشأنك الذي اخترته، والمقصود هو التخلية وتفويض الأمر إليه، وقوله في تفسير "فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً"، التقدير هو "فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤكم، ثم غلب المخاطب على الغائب ف قيل: "جزاؤكم" وهذا أسلوب الالتفات حيث يتم الانتقال من أسلوب إلى آخر مثل الانتقال من الغائب إلى المخاطب، أو من المفرد إلى الجمع، وفي تفسير كلمة "جزاءً موفوراً" من حيث التحليل اللغوي يوضح الرازي أن كلمة "موفوراً" تأتي بأكثر من معنى اعتماداً على الاشتقاق اللغوي، ويقدم معنيين للكلمة بناءً على كونها متعدية أو لازمة، في المعنى المتعدي: يشرح أن المتعدي "أن يجرم أو يخرج وفراً ووفرة" ويقتبس بيتاً من الشعر لدعم هذا المعنى: "وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ... يُشْتَمَ"، والمعنى اللازم: يوضح أن اللازم يعني "وفر المال يفر وفوراً فهو وافر" يعرض المعنى على أنه يشير إلى الوفرة والاكتمال، ويوضح أن كلمة "جزاءً" تنتصب على المصدر، مما يشير إلى كيفية استخدامها نحويّاً في الجملة.²⁵⁵

يورد القراءات القرآنية ويوجهها:

مثل قوله تعالى (إن أخرجتن إلى يوم القيامة) ويستشهد بالأقوال ويقول: يشير إلى أن ابن كثير "إن أخرجتن إلى يوم القيامة"، بإثبات الياء في الوصل والوقف، بينما قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بالحذف، وقرأ نافع وأبو عمرو بإثباتها في الوصل دون الوقف.²⁵⁶

²⁵⁵ الرازي، مفاتيح الغيب 367/21.

²⁵⁶ الرازي، مفاتيح الغيب 366/21.

يذكر المسلمات والبديهيات:

في قوله عن إبليس: أنه عرف أن الإنسان مركب من قوة بهيمية شهوانية، وقوة سبعية غضبية، وقوة وهمية شيطانية، القوة العقلية الملكية، وعرف أن القوى الثلاث (الشهوانية، والغضبية، والوهمية)، تكون هي المسؤولة في بداية الخلقة، ثم تكمل القوة العقلية في النهاية، ومتى كان الأمر كذلك، كان ما ذكره إبليس صحيحاً، في هذا النص يتجلى في ذكر المسلمات والبديهيات، ويمزج بين الفلسفة، والتحليل النفسي، والتفسير القرآني، هذا الأسلوب يتضمن عدة عناصر،²⁵⁷ تشمل الشرح اللغوي والنحوي، وتوضيح البديهيات والمسلمات العقلية وربطها بالنص القرآني، مثل تركيب الإنسان يوضح الرازي مسلمات فلسفية وبديهيّة حول تركيب الإنسان من قوى مختلفة: القوة البهيمية الشهوانية ترتبط بالغريزة والشهوات، القوة السبعية الغضبية: تتعلق بالغضب والعنف، القوة الوهمية الشيطانية ترتبط بالوهم والمكائد، القوة العقلية الملكية: تعبر عن العقل والحكمة التي تتكامل مع الزمن، الرازي يستخدم التحليل الفلسفي لفهم النفس البشرية، ويشرح كيف أن القوى الثلاث (الشهوانية، والغضبية، والوهمية)، تكون مسؤولة في بداية الخلق، بينما القوة العقلية تتكامل لاحقاً، هذا يعكس فهماً فلسفياً عميقاً للطبيعة البشرية.²⁵⁸

يتعرض لذكر الشبهات والرد عليها:

الشبهة الأولى: لماذا رفض إبليس السجود؟ الشبهة: رفض إبليس لآدم بحجة أن آدم خلق من طين وهو خلق من نار، مما اعتبره غير مبرر، رد الرازي: الرد العقلي: ويوضح أن تفضيل الله لآدم ليس بناءً على المادة التي خلق منها، بل بناءً على علم الله وحكمته، الله يكرم من يشاء بحكمته، والتفضيل لا يعتمد على المادة بل على ما يعلمه الله من فضل آدم، الحكمة الإلهية: الله أمر الملائكة بالسجود لآدم كأختبار لإبليس، ليظهر ما نفسه من الكبر والحسد الشبهة الثانية: لماذا أمهل الله إبليس إلى يوم القيامة؟ الشبهة: إبليس طلب من الله أن يمهل إلى يوم القيامة، ووافق الله تعالى على ذلك، فهل ذلك في ظلم للبشر؟ رد الرازي: الابتلاء: الله خلق الدنيا دار ابتلاء واختبار، وإمهال إبليس هو جزء من هذا الابتلاء، إتمام الحجة: إمهال إبليس يتيح للبشر حرية الاختيار بين الطاعة والمعصية،²⁵⁹ مما يحقق العدالة الإلهية في

²⁵⁷ الرازي، مفاتيح الغيب 367/21.

²⁵⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 367/21.

²⁵⁹ الرازي، مفاتيح الغيب 366/21.

الاختبار، الشبهة الثالثة: قدرة إبليس على إغواء ذرية آدم، الشبهة: إبليس يزعم قدرته على إغواء ذرية آدم جميعاً، فهل هذا يناقض عدالة الله؟ رد الرازي: حرية الإرادة: البشر لديهم حرية الإرادة في اختيار طريقهم، وإغواء إبليس لا يلغي هذه الحرية، قال تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ) المسؤولية الفردية: الله أرسل الرسل وأنزل الكتب السماوية لإرشاد البشر، مما يجعل كل إنسان مسؤولاً عن اختياره، جزاء الله العادل، الله تعالى وعد أن من يتبع إبليس سيكون جزاؤه جهنم، مما يظهر عدالة الله في التعامل مع من يختار الضلال، قال تعالى: (قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا) الآية. 260

يستعين في فهم تفاصيل القصة بالروايات مثل استشهاده لحديث النبي ﷺ "مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً

فَعَلَيْهِ وَزُرْهَا وَوَزُرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، في هذا السياق تعد كل معصية وزراً لإبليس بقدر وزر مرتكبها، ولأن إبليس هو المستهدف الرئيسي في جميع المعاصي. 261

يتعرض لذكر الحكمة والغاية:

حكمة الأمر بالسجود لآدم إظهار مكانته آدم: الله أمر الملائكة بالسجود لآدم لإظهار مكانته وكرامته عند الله، مما يدل على تكريم الله لمن يشاء بحكمته، حكمة إمهال إبليس إلى يوم القيامة: ابتلاء البشر، إمهال إبليس يتيح فرصة اختبار البشر وابتلائهم في مواجهة إغواء الشيطان، مما يظهر من يختار طريق الطاعة ومن يختار طريق المعصية، حكمة حرية الإرادة والمسؤولية: حرية الاختيار، البشر لديهم حرية الإرادة في اتباع الحق أو الباطل، وإغواء إبليس لا يسلبهم هذه الحرية، مما يؤكد المسؤولية الفردية لكل إنسان عن أفعاله، حكمة الجزاء العادل، تحقيق العدل، الله يوضح أن من يتبع إبليس سيكون جزاؤه جهنم، مما يبين عدالة الله في الجزاء والعقاب لكل من أخطأ الضلال. 262

من تفسير الرازي لهذه الآيات:

أسلوب الرازي في تفسير هذه الآيات يتسم بالدقة معتمداً على التحليل اللغوي والنحوي والاستنباط العقائدي، وذكر الوجوه المختلفة في التفاسير، من خلال استشهاده بأراء المفسرين ويستشهد بالقراءات،

260 الرازي، مفاتيح الغيب 367/21.

261 الرازي، مفاتيح الغيب 367/21.

262 الرازي، مفاتيح الغيب 366/21.

ويركز على علم المناسبات، ويركز على التحليل اللغوي والبلاغي العميق للنص القرآني، والربط بالسياق القرآني، ويظهر بوضوح كيفية مواجهة ذرية آدم لإغواء إبليس، وكيف ينجو القليلون بإيمانهم القوي يقدم الرازي تفسيراً شاملاً يعمق فهم القارئ للنص ومعانيه المختلفة بشكل كامل ودقيق.

المبحث الثاني: توصيف منهج الرازي العام في تفسيره والخاص في القصص القرآني في

سورة الإسراء

المطلب الأول: توصيف منهج الرازي العام

من المعروف أن التفسير في مراحل تطوره ونضجه قد اتبع اتجاهين رئيسيين،²⁶³ الأول يعتمد على النقل والرواية، والثاني يتجه نحو التأويل والاجتهاد، هذين الاتجاهان يعرفان بـ "التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي"،²⁶⁴ العلماء الذين اتبعوا منهج المحدثين اقتصروا على ذكر المنقول، بينما الذين اتبعوا منهج العقلين استخدموا اجتهادهم في التفسير،²⁶⁵ كلا الفريقين حاولا استكشاف مجال الأدبية الإعجازية من خلال الكشف عن مظاهرها في آيات القرآن الكريم، ولو أن الاتجاه الثاني (المعقول) كان أقرب إلى هذا الهدف، حيث أسخدم أتباعه مختلف العلوم اللغة العربية- كما يقول ابن خلدون- من معرفة دور اللغة، وصور الإعراب وألوان البيان في تأدية المعنى وفقاً للمقاصد والأساليب.²⁶⁶

بل تطور الأمر إلى حد ظهور مؤلفات ضخمة جمعت بين تفسير القرآن وبين مختلف العلوم اللغوية مما جعل تصنيفها صعباً؛ هل تنتمي إلى علم التفسير أم إلى فقه اللغة علوم النحو والبلاغة العربية.

ربما يكون أفضل من يرمز لهذا الاتجاه هو كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة بن المثنى، وكتابي "معنى القرآن" و"تأويل القرآن" لابن قتيبة، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى في إعراب القرآن وغريبه، هؤلاء

²⁶³ ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، (دار الفجر - الجزائر ط:1، 1422 هـ / 2001 م)، ص32.
²⁶⁴ د. نور الدين عتر، (ت: 1422 هـ)، علوم القرآن الكريم، (مطبعة الصباح، دمشق ط:6، 1416 هـ / 1996 م)، ص74.
²⁶⁵ أحمد أمين إبراهيم الطباخ (ت: 1373 هـ / 1954 م)، ضحى الإسلام، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط:8، 1974)، ص145.
²⁶⁶ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ص348، 349.

العلماء وغيرهم من العلماء اتخذوا تفسير القرآن كوسيلة لكشف الظواهر البلاغية واللغوية النحوية، بهدف فهم القرآن بشكل صحيح والوصول إلى أهدافه ودفع الشبهات عنه.²⁶⁷

خط فخر الدين الرازي، منهجه التفسيري على أساس الحكمة والفلسفة، مستعيناً بمعرفته اللغوية والعلوم الكونية، كان يتميز بدقة المنطق وبلاغة الحجة، وقوة الإقناع، مع توسعه في العرض والتحليل للمسائل، وتفصيل القضايا إلى درجة أن تفسيره أصبح أقرب إلى الموسوعة الشاملة منه إلى مجال العلم المتخصص، كان يتميز في كتاباته بدقة التفكير ووحدة المنطق والقدرة على تفصيل المسائل وتقسيمها وتحديد أقسامها بشكل يشملها بالكامل.²⁶⁸

الرازي بمنهجه العقلي الفلسفي، تعامل مع جماليات الإعجاز سواء خلال تفسيره المعروف "مفاتيح الغيب" أو كتابه الشهير "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، في مقدمته حدد أهم الطرق لفهم جماليات الإعجاز، قائلاً: "عندما أثبت أن عجز العرب كان بسبب الخصائص التي ظهرت لهم في نظم القرآن والإبداعات التي أدهشتهم من مبادئ الآيات وقطعها وفي كل مثل وخبر، وصورة كل عظة وإعلام وتذكير، يجب على العاقل أن يبحث عن هذه الخصائص والإبداعات، ماهي، وكم هي، وكيف هي؟ ولا يمكن ذلك إلا بالبحث عن حقيقة المجاز والاستعارة والتشبيه والتمثيل وحقيقة النظم والتقديم والتأخير والإيجاز والحذف والفصل والوصل وجميع جوانب الجمال المعتبرة في النظم والنثر."²⁶⁹

إذا كانت الفلسفة تسيطر على تحليلات الرازي في تفسيره لآيات الإعجاز العلمي والغبي في القرآن، فإن هذه الروح الفلسفية تبقى حاضرة بشكل بارز حتى في تعامله مع الصور والألوان المختلفة للإعجاز البياني في تجلياته النظمية والبلاغية، يمكن القول أن أبحاث الرازي البلاغية – في نهاية الإيجاز – تمثل انتقالاً للبلاغة العربية بشكل عام وعلم البيان بشكل خاص، من مجال الأدب والذوق والجمال إلى مجال الفلسفة والمنطق، حيث كانت عقلية الرازي عقلية فلسفية منطقية.²⁷⁰

²⁶⁷ د. محمد شفيع الدين السيد، (ت: 2021م)، البحث البلاغي عند العرب، (دار الفكر العربي، القاهرة ط: 2، 1996م) ص 17، 48.

²⁶⁸ الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د. نصر الله حاجي أوغلي، ن: (دار صادر، بيروت ط: 1، 1424هـ / 2004م)، ص 10.

²⁶⁹ الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص 29.

²⁷⁰ أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، (دار الخانجي، القاهرة 1990م)، ص 309.

الرازي في تعامله مع الآيات القرآنية، يتجاوز الجانب الجمالي والذوقي للبلاغة، مع التركيز بإستخراج أدق المعاني وأخص دلالاتها بالعرض المفصل والشرح المستفيض، يستخدم الرازي طريقة الإستطراد والتفريغ والتوليد لإستنباط هذه المعاني، ويستدل عليها بالطرق العقلية ويتميز بتقديمه للشرح المفصل والمستفيض، مع التركيز على الإحكام وتفريغها، هذا هو الأسلوب الذي يتبعه الرازي في إبراز الإعجاز البياني للقرآن الكريم.²⁷¹

ومن الأمثلة على أسلوب الرازي ومنهجه في القصص القرآني وأسلوبه وكيف تعاطى في تفسيره آيات القرآن الكريم وكيف عرض منهجه من خلال تفسيره لها وطريقة إيراده للأدلة العقلية والنقلية، ومن الأمثلة على ذلك.

في تفسير الرازي نرصد مثل الأسلوب في شرح دلالة "روح القدس" من حيث بعدها المجازي، في قوله تعالى: ﴿وَعَاثَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: 87]، يوضح الإمام الرازي أن المقصود بروح القدس يتعلق بأحد الثلاثة على سبيل التشبيه: جبريل عليه السلام، والإنجيل، والاسم الأعظم، أي الله جل جلاله، يقوم الرازي بتحليل وتعليل هذه التشابهات ومقارنتها، ويستنتج الأقرب والأنسب إلى المشبه به (روح القدس) فيستدرك قائلاً: "إلا أن المشابهة بين مسمى الروح وبين جبريل عليه السلام أتم لوجوه أحدهما: أولها: جبريل عليه السلام مخلوق من هواء نوراني، ثانيها: أن هذه التسمية "الروح" أكثر وضوحاً في جبريل عليه السلام من غيره، ثالثها: قوله تعالى [وأيدناه بروح القدس]، والإعانة الماردة هنا هي الإعانة التي قدمها جبريل عليه السلام، وهذا حقيقي بينما الإعانة المرتبطة بالإنجيل والاسم الأعظم هي مجازية، فكان لذلك أولى، ورابعها: هو أن اختصاص عيسى بجبريل عليهما السلام من أكد وجوه الاختصاص، بحيث لم يكن لأحد من الأنبياء عليهم السلام مثل ذلك، حيث كان جبريل عليه السلام هو الذي أعلن لمريم عن ولادة عيسى عليهما السلام، وكان عيسى وُلد من نفخة جبريل وكان جبريل هو من ربي عيسى عليهما السلام في جميع الأحوال، وكان معه عندما صعد إلى السماء.²⁷²

²⁷¹ احمد العمري، المباحث البلاغية في قضية الأعجاز القرآني ص 295.

²⁷² الرازي، مفاتيح الغيب 177/3.

يمكننا ملاحظة إن الرازي يستخدم مجموعة من الحجج والبراهين لدعم وجهة نظره، يقوم بجمع تفاصيل القصص المتناثرة في سور وآيات القرآن الكريم، ويستخدمها كمقدمات للوصول إلى نتائج صادقة ليصل إلى إثبات صحة ماوصل إليه من نتائج، حسب لغة أهل المنطق، لذلك يقر الرازي بأن "روح القدس" يشير إلى جبريل، وذلك بناءً على العلاقة القوية بين جبريل وعيسى عليهما السلام، منذ ولادة عيسى العجيبة حتى صعوده إلى السماء، هذا يشير إلى وعي الرازي وأدراكه جيداً بالطبيعة الشاملة للقصص القرآني، وعدم الاكتفاء بالوقوف عند تفاصيلها الجزئية، بل ينظر إلى الصورة الكبيرة للقصص المتناثرة في القرآن الكريم.

نعرض كيف تناول الرازي مسألة القسم في القرآن الكريم واعتبرها كظاهرة بلاغية وهي أسلوب من أساليب الأداء يتناوله الرازي ويبين الحكمة منه قائلاً: وهذا ليس مجرد الحلف وإنما هو دليل خرج في صورة اليمين لأن القرآن معجزة ودليل مرسل هو المعجزة، والقرآن كذلك فإن قيل فلم يذكر في صورة الدليل، ومالحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين؟ قلنا أن الدليل إذا ذكر في شكل اليمين لا يقبله السامع ولا يقبله قلبه، ولكن إذا بدأ بشكل اليمين لا يقع إلا على أمر عظيم، فلأمر العظيم يتوفر له الدواعي للأصغاء إليه، فبشكل اليمين تشرئب إليه الأجسام، وبكونه دليلاً شافياً، يتشربه القلب فيقع في السمع وينفع القلب.²⁷³

وفي ختام مسألة القسم نعرض أسلوب الرازي بتحليله الرائع لجانب ماقدمه إذ يقول فيه: إن جميع السور التي أقسم الله في ابتائها بغير الحروف كان القسم لإثبات أحد الثلاث: الواحدانية، الرسالة، والحشر، ولكن الله لم يقسم لإثبات الواحدانية إلا في سورة واحدة وهي "الصافات"، حيث قال عز وجل "إن الحكم لواحد"، هذا لأن كثير من آيات القرآن تشير إلى أن الناس لم ينكروا حقيقة الله بشكل مبالغ فيه، لذا اكتفى الله بالبرهان ولم يكثر من الإيمان، وفي سورتين من السور أقسم الله لإثبات صدق النبي ﷺ وكونه رسولا في احدهما بأمر واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى:

1، 2، 3]، هذا لأن القسم على إثبات رسالته قد كثر بالحروف في القرآن، قال تعالى: ﴿يَس ۝١ وَالْقُرْآنِ

²⁷³ الرازي، مفاتيح الغيب 41/26.

الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ [يس: 1، 2، 3]، وفي باقي السور كان القسم على الحشر والجزاء وما يتعلق به.

لأن إنكار الناس لهذا كان خارج الحدود، الإمكانية يمكن إثباتها بالعقل ولكن الوقوع يمكن إثباته إلا بالسمع، لذا أكثر الله تعالى من القسم ليقطع به المكلف ويعتقده اعتقاداً جازماً.²⁷⁴

والأمثلة في هذا الباب كثيرة لايسعنا ذكرها، والرازي يوسع ما ذكره سابقاً ويقول الله تعالى أدلى بالقسم بأستخدام جموع السلامة المؤنثة في خمس سور، ولم يستخدم جموع السلامة المذكورة في القسم في أي سورة، لم (والصالحين من عبادي) والمقربين وغيرهما، على الرغم من أن المذكر يعتبر أشرف، وذلك لأن جموع السلامة التي تنتهي بالواو والنون ماتتعلق بأولئك الذين يمتلكون القدرة على الفهم، وقد ذكرنا ان الهدف من القسم بهذه الأشياء هو لإثبات التوحيد، إلا في حالة ظهور الأمر فيه، ولكن إثبات الحشر لثواب الصالح وعذاب الصالح يعود الفائدة منه إلى من يعقل، لذا كان الأمر يتطلب أن يكون القسم بغيرهم، في السور التي يقسم الله فيها لإثبات الوحدانية، يقسم في البداية بالساكنات، كما في قوله (والصافات)، وفي الأربع سور الباقية يقسم بالمتحركات كما في (الذاريات) و(المرسلات) و(النازعات) ويؤيده قوله تعالى (والسابحات... فالسابقات) و(العاديات)، وذلك لأن الحشر يتضمن جمع وتفريق وهذا أليق بالحركة، أو يمكننا القول أنه في الأربع سور يقسم بالرياح التي تجمع وتفريق، فالقادر على تجميع السحاب المتفرق بالرياح الذارية والمرسلة هو قادر على تجميع الأجزاء المتفرقة بأي طريقة نختارها بمشيئته تعالى.²⁷⁵

هكذا يتجلى لنا الرازي في كيفية تناوله لموضوع القسم في القرآن الكريم، بعمق فكري واستنباط مدهش، كان هدفه من هذا هو تأكيد جانب مهم من جوانب الإعجاز البلاغي في القرآن، وذلك بالاستفادة من كل مافي الوجود من مظاهر متنوعة لتتوافق مع استخدامات القرآن دون تناقض أو اضطراب، وكان الهدف هو التأكيد على أن الكون بأكمله مع قوانينه، هو من تأثر الواحد القهار الذي انتج الأسرار القرآنية

²⁷⁴ الرازي، مفاتيح الغيب 277/28.

²⁷⁵ الرازي، مفاتيح الغيب 196-194/2.

المعجزة التي تتوافق مع ما في الأفق من آيات تشير جميعها إلى أنها نتيجة لصانع عظيم هو الله عز وجل، هو الذي اوجد المعجز من الأكوان المتطورة والمقروءة.²⁷⁶

نلاحظ من خلال تعامل الرازي مع ظاهرة التكرار في القصص القرآني بفهم عميق وشرح دقيق للأسلوب القرآني، فقد فسر تفاصيل القصص بأسلوبية متميزة تعتبر من أهم جوانب الإعجاز الأدبي في القرآن. وعندما تناول قصة زكريا عليه السلام في سورة مريم، قارنها بكيفية ورودها في سورة آل عمران، ليظهر تطابق مضمون القصتين رغم اختلاف الأسلوب وترتيب أجزاء النص، قد يظن البعض بوجود تعارض دلالي بين الأشكال المختلفة لورود القصة في سور متعددة، ولكن الرازي عمل على نفي هذا التعارض من خلال تحليل دقيق لمكونات كل آية على المستويات المعجمية والتركيبية والبلاغية، وبذلك أثبت أوجه الفائدة الدلالية من خلال التغيرات الأسلوبية، موضحاً كيف يخدم كل شكل من أشكال القصة البعد القصصي بشكل متكامل.

ماتم إيراد آفأ بشكل مقدمة بسيطة عن أسلوب الرازي في التفسير وطريقته الآن نذكر منهجه بشكل مختصر على سبيل الذكر ما يلي.

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

أجمع العلماء على أن تفسير القرآن بالقرآن هو أشرف أنواع التفسير وأعظمها، إذ لا أحد أعلم بمعاني كلام الله من الله عز وجل لهذا، كان السلف عند تفسيرهم لآية من الكتاب العزيز يبحثون أولاً عن معناها في القرآن نفسه، فإذا وجدوا تفسيرها هناك، لم يلتفتوا إلى غيره، ومن المعروف أن بعض الآيات التي وردت مجملة في موضع ما قد جاءت مفصلة في موضع آخر، وما ورد موجزاً في موضوع قد جاء مبسوطاً في موضوع آخر، وقد اتبع الرازي هذا المنهج في تفسيره في كتاب "مفاتيح الغيب"، حيث كان يجمع الآيات المتشابهة أو المتماثلة في اللفظ ويشرح بعضها ببعض بدقة مذهشة وبراعة عقلية رائعة.

ومن النماذج التي أوردها الرازي في تفسيره القرآن بالقرآن في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ

عَنْكُمْ﴾ [النساء: 28]، يقول الرازي في تفسير هذه الآية أن هناك قولين في مسألة التخفيف، القول الأول

²⁷⁶ الرازي، مفاتيح الغيب 194/2-196.

هو أن المقصود بها هو إباحة نكاح الأمة عند الضرورة، وهو قول مجاهد ومقاتل، أما القول الثاني، والذي قال به الباقر، فهو أن التخفيف يشمل كل أحكام الشرع، حيث يسر الله علينا وسهل علينا الأمور إحساناً منه إلينا، ولم يجعل التكاليف ثقيلة علينا كما كانت على بني إسرائيل،²⁷⁷ ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 157]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾²⁷⁸ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ [البقرة: 166، 167].

يقول الرازي في التفسير لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾²⁷⁹ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ [البقرة: 165، 166]، في بيان حال من يتخذ من الله نداً بقول الله تعالى: ﴿يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ عن طريق التهديد وفي هذا يزيد من الوعيد قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ وفي هذا بيان على الذين افنوا اعمارهم في عبادتهم واعتقدوا هم سبب في نجاتهم فهنا يتبرؤون عنهم عند حاجتهم إليهم قال تعالى: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: 25]، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67]، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: 38].²⁷⁸

²⁷⁷ الرازي، مفاتيح الغيب 55/10.

²⁷⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 189 / 4.

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة

كان من المفسرين وأئمة السلف رضي الله عنهم إذا عجزوا في تفسير آية من القرآن في آية مثلها، كانوا يذهبون بالجوء الى الثابت من السنة الصحيحة عن النبي ﷺ، لأنه خير من بين القرآن هو الذي أنزل عليه القرآن قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، وفي مقدمة الإمام ابن كثير في تفسيره بين فيه أهمية السنة في تفسير القرآن، قال: فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة أي القرآن بالقرآن، فإنها شارحة ومبينة له، وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن" وقال أيضاً: والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة.²⁷⁹

وقد اعتمد الرازي في تفسيره في مواطن كثيرة على السنة، وذلك من خلال تفسيره لسورة البقرة فقد اورد فيها (791) حديثاً، وهذا يعتبر عدد كبير على عكس من يحكم على الرازي إنه قليل الاعتماد على السنة، ويبدو ان الرازي لم يأخذ تلك الأحاديث من مظانها الصحيحة، وإنما كان ينقلها من المصادر التي اخذ منها في تفسيره، مثل تفسير الواحدي، والكشاف، والثعلبي، وتفسير ابن جرير، ومن الأمثلة على ذلك فقد روى الرازي تسعة أحاديث فقط في اثبات أن البسمة آية من الفاتحة، ثم يعقب بقوله: "واعلم أنني قد نقلت هذه الأحاديث من تفسير إبي إسحاق الثعلبي رحمه الله".²⁸⁰

تفسير الثعلبي، كما هو معلوم، ليس كتاباً يعتمد بشكل رئيسي على الروايات الموثوقة، من المرجح أن الرازي كان يستند في نقله إلى الكتب الستة في الحديث عبر الاستفادة من كتب التفسير الأخرى، مما أدى إلى وقوعه في بعض الأخطاء عند احتجازه بالأحاديث النبوية، ومن الملاحظ عموماً أن الرازي قلماً يعتمد على السنة في تفسيره، مقارنةً بكثرة النصوص الواردة في السنة التي تفسر القرآن وتشرح معانيه باستخدام بعض الآيات.²⁸¹

279 ابن كثير، تفسير ابن كثير 4/1.

280 ابن كثير، تفسير ابن كثير 163/1.

281 ابن كثير، تفسير ابن كثير 163/1.

ومن هذه النماذج التي اعتمد عليها في تفسير بعض الآيات، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ

وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26]، قال الرازي: أما بالنسبة للفظ الثالث وهو الزيادة، فنقول إن الكلمة مبهمة، ولذلك

اختلف الناس في تفسيرها. خلاصة أقوالهم تنقسم إلى قولين: الأول، أن المراد منها هو رؤية الله سبحانه وتعالى، واستندوا في ذلك إلى الدليلين: النقل والعقل، فالنقل يتجلى في الحديث الصحيح الذي يوضح أن الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى الله سبحانه وتعالى، أما من ناحية العقل، فإن كلمة 'الحسنى' جاءت بصيغة المفرد مع حرف التعريف، فانعكست على المعهود السابق، وهو دار السلام، والمعروف والمتفق عليه بين المسلمين أن هذه اللفظة تشير إلى الجنة وما فيها من النعم والتعظيم، وإذا ثبت هذا، وجب أن يكون المراد من "الزيادة" شيئاً مختلفاً عن جميع منافع وتعظيمات الجنة، ولأن التكرار غير لازم، فإن من قالوا بذلك أشاروا إلى أن "الزيادة" هي رؤية الله تعالى، يدل هذا على أن المراد من هذه الزيادة هو الرؤية، ومما يؤكد ذلك وجهان: الأول، أنه تعالى قال: ﴿وَجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-

23]، فأثبت لأهل الجنة أمرين: الأول هو نضارة الوجوه، والثاني هو النظر إلى الله تعالى، وبما أن آيات القرآن تفسر بعضها بعضاً، وجب حمل "الحسنى" هنا على نضارة الوجوه و"الزيادة" على رؤية الله تعالى، الثاني، أنه تعالى قال لرسوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: 20]، فأثبت له النعيم ورؤية الملك الكبير. لذا، وجب حمل "الحسنى" و"الزيادة" هنا على هذين الأمرين.²⁸²

تجدر الإشارة إلى أن الرازي يستخدم عقله في مجالات لا تحتل الاجتهاد العقلي، فنراه بعد ذكره نصوص السنة التي تفسر القرآن وتشرح معانيه، يورد اعتراضات عقلية لا فائدة منها، ومن ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187]. قال الرازي: "إنه روي أن عدي بن حاتم قال: "أخذت عقالين، أحدهما أبيض والآخر أسود، ووضعتهما تحت وسادتي، وكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما حتى يتبين لي الأبيض من الأسود، فلما أصبحت ذهبت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فضحك وقال: "أنك لعريض القفا"،²⁸³ وهذا ما يدل على بلاهة

²⁸² الرازي، مفاتيح الغيب 63/17.

²⁸³ البخاري: صحيح البخاري 231/8، كتاب التفسير باب كلوا واشربوا...، رح: 4510.

الرجل، وقد استبعد الرازي أن يكون هذا الفهم للآية قد صدر من عدي بن حاتم، رغم ورود الحديث في الصحيحين، قال الرازي: "أما ما حُكي عن عدي بن حاتم فبعيد، لأنه يبعد أن يخفى على مثله هذه الاستعارة مع قوله تعالى: ﴿مَنْ أَلْفَجَّتْ﴾"،²⁸⁴ والحق أن الاعتراض الذي جاء به الرازي هو مجرد استنتاج عقلي يرده ويحظر القول بذلك لأن أصل الحديث صحيح رواه البخاري ومسلم في صفحة السابقة 123 من هذه الرسالة.

ومن أمثلة الأحاديث الموضوعة التي أوردها الرازي في تفسيره، ما جاء في تفسيره للبسملة. فقد ذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ يقول: "من رفع قرطاساً من الأرض فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالاً له تعالى، كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وإن كانا مشركين."²⁸⁵

كما أورد الرازي في بيان سبب نزول سورة القدر حديثاً موضوعاً لا أصل له، حيث روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال: قلت للحسن بن علي: يا مسود وجوه المؤمنين، عمدت إلى هذا الرجل فبايعته! يعني معاوية بن أبي سفيان، فقال الحسن: إن رسول الله ﷺ رأى في منامه بني أمية يطؤون منبره واحداً بعد واحد، وفي رواية: ينزون على منبره نزو القردة، فشق ذلك عليه، فأنزل الله سورة القدر، يعني ملك بني أمية، قال القاسم: فحسبنا ملك بني أمية فإذا هو ألف شهر،²⁸⁶ وفي تفسيره لسورة الماعون أورد الرازي حديثاً موضوعاً، وهو: من قرأ سورة (أرأيت) غفر له إن كان للزكاة مؤدياً.²⁸⁷

أسلوب الرازي وأخذه من السنة ومع ذلك، فإن قلة من المفسرين سلموا من إيراد بعض الأحاديث الموضوعة والاستشهاد بها جهلاً بحالها، وذلك لأن بعض المفسرين لم يكونوا من أهل الحديث، فلم يعنوا بمراجعة ما يستشهدون به من نصوص السنة في مصادرها المعروفة، بل اكتفوا بنقل الأحاديث من غير مصادرها الأصلية.

²⁸⁴ الرازي: مفاتيح الغيب 110/5، 109.

²⁸⁵ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني أبو نعيم (ت: 430هـ)، تاريخ اصفهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، (دار الكتب العلمية، بيروت ط: 1، 1410هـ / 1990م)، 84/2.

²⁸⁶ الرازي: مفاتيح الغيب 30/32.

²⁸⁷ الرازي: مفاتيح الغيب 115/32.

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم

إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، نرجع في ذلك إلى أقوال الصحابة، فهم أدرى بذلك لما شهدوا من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لديهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، خاصة كبارهم وعلماءهم، مثل الأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين المهديين وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم.²⁸⁸

والراجح إن ما نقل عن الصحابة، سواء كان مرفوعاً أو موقوفاً، يؤخذ به في تفسير الكتاب العزيز، ذلك أن ما له حكم الرفع يعد من قبيل التفسير بالسنة، وأما الموقوف فيتميز الصحابة فيه عن غيرهم من خصائص أشرنا إلى بعضها في النص الذي ذكرناه عن ابن كثير²⁸⁹، ومما تميزت به طريقة الرازي في هذا المجال، أنه ينقل في تفسير الآية الواحدة عدة أقوال من الصحابة رضي الله عنهم، ثم يرجع بينها.

مثال ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَتَسْلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 8] ، حيث أورد

الرازي وجوهاً متعددة للنعيم المسؤول عنه، فذكر قول ابن مسعود أنه الأمن والصحة، وقال ابن عباس أنه الصحة وسائر ملاذ المأكول والمشروب، وذكر ابن عمر أنه الماء البارد، وقد ذهب الرازي إلى أن الأولى في تفسير الآية أن تحمل على جميع النعم، لأسباب عدة: أولها: أن الألف واللام تفيدان الاستغراق، وثانيها: أنه ليس صرف اللفظ للبعض أولى من صرفه للباقي، خصوصاً وأن الدليل دل على أن المطلوب من منافع هذه الدنيا هو اشتغال العبد بعبودية الله تعالى، وثالثها: أن الله تعالى قال: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)، والمراد منه جميع النعم من فلق البحر والإنجاء من فرعون وإنزال المن والسلوى، فكذا هاهنا، ورابعها: أن النعيم التام كالشيء الواحد الذي له أجزاء وأعضاء، فإذا أُشير إلى النعيم فقد دخل فيه الكل، كما أن الترياق اسم لمركب معجون من أدوية كثيرة، وإذا ذكر الترياق فقد دخل الكل فيه.²⁹⁰

288 ابن كثير، تفسير ابن كثير 4/1.

289 ابن كثير، تفسير ابن كثير 4/1.

290 الرازي، مفاتيح الغيب 78/32.

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين

كان من مذهب أهل السنة في تفسير كتاب الله عز وجل أنه إذا لم يجدوا التفسير في القرآن، ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة، يرجعون إلى أقوال التابعين، ومن هؤلاء التابعين: مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم.²⁹¹

الحق أن منهج الرازي في نقل أقوال التابعين والاستفادة منها في تفسيره لا يكاد يختلف عن منهجه في التعامل مع أقوال الصحابة رضي الله عنهم، فهو يسرد تلك الأقوال في تفسيره دون إسناد أو تحديد للمصدر الذي ينقل عنه، وأحياناً ينقض هذه الأقوال ويبين وجهة الضعف فيها حسب رأيه، من أئمة التابعين الذين نقل عنهم الرازي: مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، ومسروق، والحسن البصري، ومقاتل، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وغيرهم كثير.²⁹²

ومن الشواهد على طريقته في النقل عن التابعين ونهجه في التعامل مع المأثور عنهم من الروايات التفسيرية، ما أورده في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65]. قال الرازي: المروي عن مجاهد أنه سبحانه وتعالى مسح قلوبهم بمعنى الطبع والختم، لا أنه مسح صورهم، وهو مثل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [

الجمعة: 5]، ونظيره أن يقول الأستاذ للمتعلّم البليد الذي لا ينجح في تعليمه: كن حماراً.²⁹³

واحتج على امتناعه بأمرين: الأول: أن الإنسان هو هذا الهيكل المشاهد والبنية المحسوسة، فإذا أبطل وخلق في تلك الأجسام تركيب القرد وشكله، كان ذلك إعداماً للإنسان وإيجاداً للقرد، فيرجع حاصل

²⁹¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن 483/2.

²⁹² الزركشي، البرهان في علوم القرآن 158/2.

²⁹³ الرازي، مفاتيح الغيب 111/3.

المسخ في هذا القول إلى أنه تعالى أزال الصفات التي جعلت تلك الأجسام إنساناً وخلق فيها الصفات التي جعلتها قرداً، فهذا يكون إعداماً وإيجاداً، لا مسخاً.²⁹⁴

والحجة الثانية: أنه إذا جوزنا المسخ لكان علينا أن نشك في كل ما نراه قرداً أو كلباً، فربما كان في الأصل إنساناً عاقلاً، وهذا يؤدي إلى الشك في كل المشاهدات، ويجب الرازي عن هذا الاعتراض بأن الإنسان ليس مجرد هذا الهيكل المادي، لأن الإنسان يمكن أن يصبح سميئاً بعد أن كان هزيلاً، أو العكس، فتتغير الأجزاء ولكن الشخص يبقى نفسه، والجزء الذي يبقى في الإنسان هو شيء غير مرئي وراء هذا الهيكل المحسوس، هذا الشيء يمكن أن يكون جسماً سارياً في البدن، أو جزءاً معيناً مثل القلب أو الدماغ، أو شيئاً مجرداً كما يقول الفلاسفة، وعلى أي من هذه التقديرات، لا يوجد مانع من بقاء ذلك الشيء مع تغيير شكل الهيكل، وهذا هو المقصود بالمسخ وبهذا التفسير، يمكن للملك الذي تكون جثته ضخمة جداً أن يدخل حجرة الرسول ﷺ.²⁹⁵

والرد على الحجة الثانية: هو أن الأمان من الشك يحصل بإجماع الأمة، ولما ثبت بجواز المسخ بما قررناه، يمكن فهم الآية على ظاهرها دون الحاجة إلى التأويل الذي ذكره مجاهد رحمه الله، ومع أن ما ذكره مجاهد ليس مستبعداً تماماً، لأن الإنسان الذي يصر على جهالته بعد ظهور الآيات الواضحة قد يُقال عنه في العرف الظاهر إنه أصبح حماراً أو قرداً، وهذا المجاز من المجازات الظاهرة المشهورة، فلا يكون هناك محذور في اللجوء إليه.²⁹⁶

ومع ذلك، يميل الرازي إلى حمل الآية على ظاهرها، فيكون المسخ حقيقياً، لكنه لا يستبعد ما ذهب إليه مجاهد من أن المسخ كان معنوياً. وبالرغم من معارضة قول مجاهد المروي عن ابن عباس وجماعة من الصحابة بأن الذين اعتدوا في يوم السبت مسخوا حقيقة، قال ابن كثير بعد أن ساق أقوال السلف في أنهم مسخوا حقيقة: "الغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد

²⁹⁴ الرازي، مفاتيح الغيب 111/3.

²⁹⁵ الرازي، مفاتيح الغيب 111/3.

²⁹⁶ الرازي، مفاتيح الغيب 103/3.

رحمه الله من أن مسخهم كان معنويًا لا صوريًا، بل الصحيح أن مسخهم كان معنويًا وصوريًا، والله تعالى أعلم.²⁹⁷

من نماذج عناية الرازي بتحقيق الصلة بين السور في القرآن الكريم هو ما قاله في صدر تفسيره قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 1، 2]. فقد تناول كيف أن أول هذه السورة مرتبط بما قبلها، وذكر أن الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: 85] كان قد وعد بالنصر للمؤمنين على الكفار، ووجود احتمال لمشاق القتال قد يكون صعبًا على بعضهم، لذا قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، ليشير إلى أن مجرد قول الإيمان لا يكفي دون اختبار وصبر، وأن الجهاد جزء من هذا الاختبار.²⁹⁸

الوجه الثاني: في أواخر سورة المتقدمة، عندما قال الله تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ [القصص: 87]، كان يبين أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا مأمورين بالجهاد ضد الكفار إذا لم يؤمنوا، وليس مجرد الدعوة، وكان هذا الأمر صعبًا على بعضهم، لذا قال الله في بداية سورة العنكبوت: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾، للإشارة إلى أن الإيمان لا يُختبر إلا بالصبر والابتلاء.

الوجه الثالث: هو أن الله تعالى في أواخر سورة القصص: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]، ذكر ما يُبطل قول منكري الحشر، حيث قال: ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، أي أن كل شيء هالك، لكنه سيعود إلى الله، فإذا كان منكرو الحشر يعتقدون أن التكاليف لا فائدة منها لأنها مشقة في الحال ولا طائل منها في الآخرة، حيث لا مرجع بعد الهلاك، فإن الله يبين في سورة العنكبوت أن الأمر ليس كما

²⁹⁷ ابن كثير، تفسير ابن كثير 107/1.

²⁹⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 23/25.

يظنون فالتكاليف لها فائدة، حيث يُثيب الله الشاكرين ويعذب الكافرين، لذا، قال الله: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ ، ليشير إلى أن الناس لا يُتركون دون امتحان أو عمل، بل يُحاسَبون ويُحشرون إلى ربهم.²⁹⁹

المطلب الثاني: منهجه وأسلوبه في إيراد القصص القرآني في سورة الإسراء

بعد ما تكلمنا عن أسلوب الرازي وطريقته بشكل عام ومبسط ومختصر في التفسير، الآن نوضح ونبين أسلوبه الخاص في إيراد القصة القرآنية في تفسيره وما هي طريقته ومنهجه وأسلوبه في التعامل مع النص القرآني كالتالي:

أ: يذكر المناسبة

في تفسيره لسورة الإسراء، يبرز الرازي مناسبة بين الإسراء والمعراج وما يتصل بهما من أحداث ودروس. يوضح الرازي أن الإسراء والمعراج كانا تجربةً روحيةً ونبويةً عميقةً تهدف إلى تعزيز إيمان النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتأكيد رسالته. من الأمثلة التي يذكرها الرازي في هذا السياق:

1. تحقيق النبوءات السابقة: يشير الرازي إلى أن الإسراء والمعراج كانا تحققًا للنبوءات التي تحدثت عن رفعة شأن النبي ﷺ ورفع مكانته.³⁰⁰
2. التأكيد على المعجزات: يوضح الرازي أن هذه المعجزة تؤكد قدرة الله على كل شيء وتدعيمًا للرسالة النبوية بأية عظيمة، وهي الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماوات.
3. تعليم المؤمنين: يعكس الرازي كيف أن الإسراء والمعراج كانا درسًا للمؤمنين في الثبات على الإيمان، والتوكل على الله، والصبر على الابتلاءات.

²⁹⁹ الرازي، مفاتيح الغيب 23/25.
³⁰⁰ الرازي، مفاتيح الغيب 292/20.

باختصار، يظهر الرازي المناسبة بين أحداث سورة الإسراء والمعراج من خلال التأكيد على تحقيق النبوءات وتعليم المؤمنين دروساً مهمة في الإيمان والقدرة الإلهية.³⁰¹

ب: تفسير ألفاظ القصة

في تفسيره لسورة الإسراء، يفسر الرازي ألفاظ القصة بدقة، مشيراً إلى المعاني اللغوية والرمزية والشرعية التي تحملها. يقدم الرازي تحليلاً لكلمات مثل "الإسراء" و"المعراج" و"الآيات" في الآية الأولى من السورة.³⁰²

مثال على تفسير ألفاظ القصة

1- الإسراء: يوضح الرازي معنى كلمة "الإسراء"، مبيّناً أنها تعني السير ليلاً. ويستند إلى أن الإسراء كان بالروح والجسد، ويشير إلى كيف أن هذه الرحلة تعزز من عظمة المعجزة وتؤكد رسالة النبي.

2- المعراج: يفسر الرازي كلمة "المعراج" التي تعني الصعود إلى السماء، ويشرح كيف أن هذه الرحلة كانت انتقالاً من المسجد الأقصى إلى السماوات، مما يدل على مكانة النبي العالية وعظمة المعجزة.

3- الآيات: في قوله "لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا" (الإسراء: 1)، يوضح الرازي أن الآيات تشير إلى المعجزات والعلامات الإلهية التي أظهرت قدرة الله وعظمته.

الرازي يعتمد على تفسيره للغة القرآنية، وأحياناً على الشروح والأحاديث النبوية، ليفسر الألفاظ بشكل يساعد على فهم السياق الكامل للقصة.³⁰³

³⁰¹ الرازي، مفاتيح الغيب 20 / 291.

³⁰² الرازي، مفاتيح الغيب 20 / 291.

³⁰³ الرازي، مفاتيح الغيب 20 / 292.

ت: يفصل في الأقوال ويرجح ويستخلص

يقوم الرازي بتفصيل الأقوال المتعلقة بتفسير الآيات، ثم يرجح بينها ويستخلص الدروس المستفادة. هذا الأسلوب يظهر بوضوح في تفسيره للآية الأولى من السورة، حيث يعرض أقوال المفسرين المختلفة حول معنى الإسراء والمعراج ويحللها بشكل نقدي.

مثال على كيفية تفصيل الرازي للأقوال وترجيحها:

1. تفصيل الأقوال: يبدأ الرازي بعرض مختلف الآراء حول طبيعة الإسراء والمعراج، سواء من حيث كونها رحلة روحية أو جسمانية، أو من حيث دلالتها على معجزات النبي. يعرض الأقوال المختلفة للمفسرين ويستعرض الأدلة التي يستندون إليها.

2. الترجيح: بعد عرض الأقوال المختلفة، يقوم الرازي بترجيح بعض الآراء بناءً على الأدلة العقلية والنقلية. على سبيل المثال، قد يفضل الرازي القول بأن الإسراء كان بالجسم والروح بناءً على الأدلة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، مشيرًا إلى أن تفسيره يتماشى مع طبيعة المعجزة وأهدافها.

3. استخلاص الدروس: بعد ترجيح الرأي الأنسب، يستخلص الرازي الدروس والعبر من القصة. يُبين كيف أن الإسراء والمعراج يبرز مكانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويعزز رسالته، وكيف أن هذه المعجزة تدل على القدرة الإلهية وتحت المؤمنين على الثبات في إيمانهم.³⁰⁴

دليل على ذلك:

في تفسير الرازي للآية "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى" [الإسراء: 1]، يعرض الرازي أقوال المفسرين حول تفاصيل الرحلة، مثل هل كانت رحلته بالروح أو بالروح فقط، ويعرض أدلة من السنة والقرآن لدعم كل رأي. ثم يقوم بترجيح الرأي الذي يراه الأكثر صحة بناءً على الأدلة المتاحة ويستخلص كيفية فهم هذه المعجزة في سياق الرسالة النبوية.³⁰⁵

³⁰⁴ الرازي، مفاتيح الغيب 292/20.

³⁰⁵ الرازي، مفاتيح الغيب 292/20.

بهذه الطريقة، يُظهر الرازي قدرته على تحليل النصوص بعقلانية واستخلاص النتائج بناءً على الأدلة المتوفرة.

ث: يستخلص المسائل الفقهية

يستخلص الرازي المسائل الفقهية من خلال تفسيره للآيات القرآنية وتحليلها، واحدة من الأمثلة البارزة التي يستخلص منها مسائل فقهية هي الآية التي تتحدث عن الصلاة في سورة الإسراء. الدليل:

تفصيل كيفية استخلاص المسائل الفقهية

1. مسألة أوقات الصلاة: من خلال تفسير الآية "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي" (الإسراء: 78)، يستخلص الرازي مسألة توقيت الصلاة وأوقات أدائها، يشرح أن الآية تشير إلى وجوب إقامة الصلاة في أوقات محددة، ويستند إلى أن الصلاة مرتبطة بذكر الله، مما يدل على أهمية الالتزام بأوقاتها.³⁰⁶
2. مسألة صلاة الليل: كما يُشير الرازي إلى مسألة صلاة الليل، مستندًا إلى الآية: "وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ" (الإسراء: 79)، يستخلص منها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مطالبًا بصلاة الليل كنافلة، مما يدل على فضلها وأجرها.³⁰⁷
3. الاحتكام إلى الصلاة: يوضح الرازي من الآية "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي" (الإسراء: 78) أن إقامة الصلاة تعني الالتزام بأدائها بانتظام، وأن الصلاة تعتبر من أهم وسائل ذكر الله والعبادة.

ج: يذكر الأصول والقواعد

يستخدم الرازي أصولًا وقواعد تفسيرية أخرى تستند إلى النصوص نفسها. على سبيل المثال: قواعد تفسيرية من سورة الإسراء:

³⁰⁶ الرازي، مفاتيح الغيب 21 / 381.

³⁰⁷ الرازي، مفاتيح الغيب 21 / 386.

1. قاعدة تفسير القرآن بالقرآن يظهر الرازي هذه القاعدة في تفسيره للآية "وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ

هُدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ" (الإسراء: 2). هنا، يستند الرازي إلى تفسير آيات أخرى من القرآن التي تتحدث عن

التوراة ومهامها في هداية بني إسرائيل، لتوضيح معنى "الكتاب" المقصود في الآية.³⁰⁸

2. قاعدة الربط بين الآيات: عند تفسيره للآية "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ" (الإسراء: 4)،

يربط الرازي بين هذه الآية والآيات السابقة واللاحقة التي تتناول تاريخ بني إسرائيل ومواقفهم، هذا الربط

يساعد في فهم سياق الآية بشكل أفضل وتوضيح معناها في إطار القصة القرآنية.³⁰⁹

3. قاعدة التفسير بالمقاصد: في تفسيره للآية "وَإِذَا قُضِيْنَا" (الإسراء: 7)، يعرض الرازي كيف

أن الآية تتعلق بمقاصد معينة تتعلق بأفعال بني إسرائيل وعواقبها، مما يساعد على استخلاص الدروس والعبر المستفادة.

ح: يذكر المسلمات والبديهيات العقلية

يستند الرازي إلى المسلمات والبديهيات العقلية لتفسير النصوص وتوضيحها، يستخدم هذه المبادئ

العقلية لتقديم فهم منطقي ومتسق للآيات القرآنية. وفيما يلي توضيح لبعض المسلمات والبديهيات التي يعتمد عليها:

1. القدرة الإلهية: الرازي يستند إلى بديهية قدرة الله المطلقة لتفسير معجزة الإسراء والمعراج، يرى

الرازي أن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم الصعود إلى السماوات هو تعبير عن قدرة

الله اللامحدودة، ويستند إلى بديهية أن الله قادر على كل شيء.³¹⁰

³⁰⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 20 / 292.

³⁰⁹ الرازي، مفاتيح الغيب 20 / 294.

³¹⁰ الرازي، مفاتيح الغيب 20 / 294.

2. الضرورية للمعجزات: يُعتبر المعجزات بديهياً في إطار الرسائل الإلهية، حيث تؤكد على صدق الأنبياء، الرازي يعرض أن الإسراء والمعراج هو معجزة تؤكد صدق رسالة النبي محمد ﷺ، ويستخدم بديهية أن المعجزات تتناسب مع عظمة الرسالة.³¹¹

3. العقلانية في النصوص: يستخدم الرازي المبادئ العقلية لتفسير كيفية تفسير النصوص القرآنية بشكل منطقي، على سبيل المثال، عند تفسيره لآية "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا" (الإسراء: 1)، يعتمد على بديهية أن القرآن لا يتناقض مع العقل، ويشرح كيفية توافق المعجزات مع العقلانية.³¹²

الدليل:

في تفسير الآية "وَأَتَيْنَا مُوسَى الْأَكْتَبَ" (الإسراء: 2)، يستند الرازي إلى مسلمة عقلية بديهية حول أهمية الكتابات المقدسة في الهداية، يعرض كيف أن التوراة كانت هدية من الله لبني إسرائيل، وهو تفسير يتوافق مع عقلانية أن الكتب السماوية تُعطى لتوجيه البشر.

خ: يتعرض الى اللطائف اللغوية والنحوية

يتناول الرازي عدة لطائف لغوية ونحوية، ومنها: التعبير بصيغ مختلفة: في تفسيره لقوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا"، يلاحظ الرازي أن استخدام صيغة الفعل "أسرى" تعكس فعل السير ليلاً، وهو تعبير دقيق ليدل على المعجزة التي حدثت في وقت غير متوقع وبشكل عظيم، الاختلاف بين "الحرم" و"الأقصى": في تفسيره للآية "إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى"، يلفت الرازي إلى الفرق بين "الحرم" و"الأقصى". حيث أن "الحرم" يشير إلى مكة، و"الأقصى" يعني الأبعد، ما يبرز معنى الرحلة من المكان الأقرب إلى الأبعد، الأسلوب البلاغي في الوعد والوعيد: في تفسير قوله تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ"، يتناول الرازي كيفية استخدام الفعل "قضينا" للدلالة على حكم ثابت ومستقر من الله، ما يعكس طبيعة القضاء الإلهي الثابت.³¹³

³¹¹ الرازي، مفاتيح الغيب 291/20.

³¹² الرازي، مفاتيح الغيب 291/20.

³¹³ الرازي، مفاتيح الغيب 293/20.

ذ: يستعين في فهم تفاصيل القصة بالروايات

يستخدم الرازي الروايات والحديث لفهم تفاصيل القصة التي ذكرت في السورة، يُعنى الرازي بدراسة الآيات من جميع الزوايا لفهم المعاني والتفسيرات الصحيحة.

على سبيل المثال، في تفسيره لقصة الإسراء والمعراج، يستند الرازي إلى الروايات النبوية لتوضيح تفاصيل الحدث والأحداث المصاحبة له، يُظهر الرازي في تفسيره كيفية تكامل الروايات مع النص القرآني لتقديم تفسير شامل ودقيق للآيات، مما يساعد في فهم الأحداث والسياقات بشكل أعمق.³¹⁴

د: يتعرض لذكر الشبهات والرد عليها

يعرض الرازي بعض الشبهات التي أثرت حول قصة الإسراء والمعراج، ثم يرد عليها من خلال التحليل والنقد.

الشبهات والردود:

1. شبهة الزمن والمكان:

الشبهة: يشكك بعض الناس في إمكانية حدوث الإسراء والمعراج بالزمان والمكان الذي ذكرت في القرآن، نظرًا لاعتقادهم أن مثل هذا الحدث لا يمكن أن يحدث.

الرد: يرد الرازي على هذه الشبهة بالتأكيد على أن الله قادر على كل شيء، وأن المعجزات لا تنتقيد بحدود الزمن والمكان. يستشهد الرازي في تفسيره بأن القدرة الإلهية تتجاوز حدود الفهم البشري، وأن المعجزات هي من أمور الغيب التي لا يمكن للعقل البشري إدراكها بشكل كامل.³¹⁵

2. شبهة التفسير الحسي:

الشبهة: يشكك بعض الناس في المعراج باعتباره رحلة حسية، ويعتقدون أنه لا يمكن أن تحدث رحلة مثل هذه عبر السماوات.

³¹⁴ الرازي، مفاتيح الغيب 293/20.

³¹⁵ الرازي، مفاتيح الغيب 294 /20.

الرد: ينظر الرازي إلى أن المعراج كان تجربة روحية حقيقية وليس مجرد حلم، يبين الرازي أن الحديث عن المعراج لا يتعارض مع المعتقدات الدينية التي تؤكد قدرة الله على إحداث مثل هذه المعجزات.

3. شبهة التناقض مع العقل:

الشبهة: هناك من يعتبر أن قصص الإسراء والمعراج تتناقض مع المبادئ العقلية.³¹⁶

الرد: يؤكد الرازي أن الإيمان بالإسراء والمعراج لا يتعارض مع العقل، بل هو جزء من الإيمان بالغيب الذي يجب على المسلم أن يقبله. يشدد الرازي على أن العقل البشري محدود، وما يتعلق بالغيبيات لا يمكن أن يُقاس عليه.³¹⁷

ر: يتعرض لذكر الحكمة والغاية

يناقش الحكمة والغاية من الإسراء والمعراج، والتي يُعدّان من أعظم المعجزات التي حدثت للنبي ﷺ.

1. تأكيد النبوة والرسالة:

الحكمة: يُعدّ الإسراء والمعراج تأكيدًا للنبي محمد ﷺ ولرسالته، يُظهر الرازي أن هذا الحدث العظيم يعزز من مكانة النبي ويثبت نبوته أمام المشركين والمشككين.

الدليل: يستشهد الرازي بالآية التي يقول فيها الله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا" (الإسراء: 1)، مشيرًا إلى أن هذا التمجيد والإسراء هو دليل على عظمة النبي ومصادقية رسالته.³¹⁸

2. تسلية النبي وإظهار عظمة الله

الحكمة: يُشير الرازي إلى أن الإسراء والمعراج كانا لتسلية النبي ﷺ بعد سنوات من الصعوبات

والضغط.³¹⁹

³¹⁶ الرازي، مفاتيح الغيب 294/20.

³¹⁷ الرازي، مفاتيح الغيب 292 / 20.

³¹⁸ الرازي، مفاتيح الغيب 291/20.

³¹⁹ الرازي، مفاتيح الغيب 292/20.

الدليل: يُظهر الرازي كيف أن الرحلة إلى السماوات كانت تجسيدًا لعظمة الله ورحمته بالنبي، خاصة في ظل ما كان يمر به النبي من محن.³²⁰

3. تعليم المسلمين

الحكمة: يُبين الرازي أن الإسراء والمعراج كان لهما أيضًا هدف تعليمي للمسلمين، كانت رحلة الإسراء والمعراج اختبارًا جديدًا للمسلمين في إيمانهم ويقينهم، وفرصة لمشاهدة النبي ﷺ، عجائب القدرة الإلهية، والوقوف على حقيقة المعاني الغيبية، والتشريف بمناجاة الله في موطن لم يصل إليه بشر قط، إضافة إلى كونها سببًا في تخفيف أحزانه وهمومه، وتجديد عزمه على مواصلة دعوته والتصدي لأذى قومه.³²¹

الخلاصة

أن الرازي قدم جهدًا عظيمًا في تفسيره للقرآن، سواء في جانب التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي والاجتهاد الشرعي، تميز تفسيره بأسلوبه ومنهجه الفريد في تناول القصص القرآني، حيث استخدم منهجًا يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير العقلي، استدل بالقرآن والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، ثم أعقب ذلك بتحليل نقدي متعمق، مستعرضًا الآراء المختلفة ومقارنتها، هذا الأسلوب يُظهر اهتمامه بالتفاصيل وإدراكه للأبعاد المختلفة للقصص القرآني، مما يجعله نموذجًا مميزًا في تفسير القرآن، وذلك جعله مرحلة فارقة في تاريخ علم التفسير، فقد تضمن تفسيره إضافات تفسيرية عديدة في المادة والمنهج، أسأل الله أن ينفع بهذا العمل ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

³²⁰ الرازي، مفاتيح الغيب 293/20.

³²¹ الرازي، مفاتيح الغيب 293/20.

النتائج والتوصيات

تناولت في فصول هذه الدراسة بالشرح والتحليل والوصف كتابًا مهمًا في علم التفسير، وهو "مفاتيح الغيب" للإمام فخر الدين الرازي، استعرضت الدراسة مصادر الكتاب ومادته التفسيرية، ومنهجه في تناول القصص القرآني وبيان معاني الكتاب العزيز، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي رأيت من الضروري أن أختتم بها هذه الدراسة، لجمع ما تفرق من مسائل جزئية وقضايا ثانوية وآراء تناولتها الدراسة عبر صفحاتها.

أولاً: يمثل كتاب "مفاتيح الغيب" الرازي أهمية خاصة وقيمة كبيرة في تاريخ علم التفسير، سواء القديم أو الحديث، فهو ليس مجرد كتاب تفسير يعنى بشرح آيات القرآن الكريم وتفسير معانيها، بل هو موسوعة علمية شاملة. يحتوي الكتاب، بالإضافة إلى التفسير، على علم الفقه وأصوله، وعلم القراءات وأنواعه، وحديث عن العقيدة وقضاياها، ومسائل في الأدب وفنونه، وعناية بالفلسفة ومشكلاتها، واستيعاب للكثير من المأثور عن النبي ﷺ، وأصحابه وتابعيهم والروايات التفسيرية، يسوق الإمام الرازي كل هذه العلوم في صعيد واحد بأسلوب عقلي ومنضبط، يثير الإعجاب بقدر ما يقدم من فائدة.

ثانياً: أسلوب الرازي في تناول القصص القرآني في سورة الإسراء يُعدّ فريداً من نوعه، حيث استخدم منهجاً يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير العقلي، استدلل بالقرآن والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، ثم أعقب ذلك بتحليل نقدي متعمق، مستعرضاً الآراء المختلفة ومقارنتها، هذا الأسلوب يُظهر اهتمامه بالتفاصيل وإدراكه للأبعاد المختلفة للقصص القرآني، مما يجعله نموذجاً مميزاً في تفسير القرآن.

ثالثاً: أما المرويات عن بني إسرائيل التي لم يُتحقق من صدقها أو كذبها، فقد نقلها الرازي في تفسيره دون الخوض في تفاصيلها الدقيقة، معتقداً أن معظمها لا طائل من ورائه، وهذا ليس عيباً في طريقة الرازي، التي اعتمد فيها على النقل دون التأكد من أصول هذه الروايات وصحتها، ورغم أن هذا الأمر قد يُنتقد في منهجه، لا يمكن إنكار أن تفسيره يعد موسوعة علمية.

رابعاً: تنوع الجهد الذي بذله الرازي من خلال أسلوبه في القصص القرآني، فلم يقتصر على جمع الأقوال المأثورة وحشد الآراء التي ذكرها السابقون في شرح الآيات، بل أضاف إلى هذا جهداً عقلياً تمثل في حسن التصنيف والترتيب وبراعة العرض والإيراد، كان يتميز بدقة الفهم وعمق الاستيعاب لما

يورده من آراء، حيث يحرص على عزوها إلى أصحابها مقرونة بأدلتها وبعد ذلك، ينقد ويفسر ويحلل، وينتخب من الآراء ما تسنده الحجة ويدعمه الدليل، أو يرفض الآراء جميعها ويقدم رأياً جديداً يراه مقبولاً من جهة النقل أو العقل أو من كليهما معاً.

التوصيات

1- أوصي زملائي الباحثين وطلاب العلم الأفاضل، بزيادة البحث والتعمق في هذا التفسير الكبير، سواء من حيث الجودة أو الكمية، ورغم جميع البحوث التي أجريت عليه، فإن هذا التفسير يستحق المزيد نظراً لتنوع علومه وكثرة الموضوعات التي تناولها الرازي، وأوصي أيضاً بدراسة منهجه في القصص القرآني في القرآن كاملاً، للتعرف على طريقته أكثر، من خلال البحوث والدراسات العلمية.

2- وأيضاً ينبغي زيادة التعريف بالإمام وعلمه وكتبه، وتوضيح القيمة المضافة لعلم التفسير من خلال تفسيره "مفاتيح الغيب"، يمكن تحقيق ذلك عبر إقامة المؤتمرات والمنتديات الثقافية، واستخدام المنافذ الإلكترونية لنشر المعلومات والتعريف بالرازي وتفسيره القيم.

المصادر والمراجع

- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (المتوفى: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ن: (دار الكتاب الإسلامي – القاهرة).
- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (المتوفى: 1094هـ)، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ن: (مؤسسة الرسالة – لبنان – بيروت، ط: 2 1988 م).
- أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري (المتوفى: 175هـ)، **عشرة أحاديث من الجزء المنتقى الأول والثاني من حديث الليث**، تحقيق: خلاف محمود عبد السميع، ن: (دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط: 1، 1423هـ – 2002م).
- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي الواحدي (المتوفى: 468هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: د. أحمد محمد صيرة، ن: (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 1، 1415هـ، 1994م).
- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، (المتوفى: 150هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ن: (دار إحياء التراث- بيروت، ط: 1، 1423هـ).
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (المتوفى: 261هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: (مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة، 1374هـ - 1955م).
- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، (المتوفى: 681)، **وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، ن: (دارصادر- بيروت، ط 1، 1994).
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ابن كثير، (المتوفى: 774هـ)، **البداية والنهاية**، ن: (دار أحياء التراث العربي)، ط: 1 1408هـ - 1998م).
- أبو القاسم محمد بن علي بن عمر راغب الأصفهاني، (المتوفى: 502هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ن: (دار القلم دار الشامية دمشق – بيروت، ط: 2 2009م).

- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جارالله، (المتوفى: 538)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ن: (دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط:1، 1419هـ 1998م).
- أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، (المتوفى: 403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، ن: (دار المعارف- مصر، ط5 1997م).
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ن: (دار العلم للملايين- بيروت)، ط:1، 1987م).
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبدالله بن عبد المحسن التركي، ن: (دار الهجرة، القاهرة – مصر)، ط: 1 1422هـ، 2001م).
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (المتوفى: 505هـ)، فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ن: (مؤسسة دار الكتب الثقافية- الكويت).
- أبو حفص سراج الدين عمر بن علي ابن عادل الحنبلي (المتوفى: 775)، اللباب، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، ن: (دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: 1، 1419هـ، 1998م).
- أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ابن الفراء (المتوفى: 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ن: (دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط:1) .
- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (المتوفى: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: (دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي).
- أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ن: (دار أحياء الكتب العربية عيسى البابي، ط:1 1376هـ 1957م).

أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (256هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق: د مصطفى ديب البغا، ن: (دار ابن كثير- دار اليمامة دمشق)، ط: 5، 1414هـ - 1993م، سورة بني إسرائيل باب قوله أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام).

أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (المتوفى: 279هـ)، **الجامع الكبير سنن الترمذي**، تحقيق: عواد بشار معروف، ن: (دار الغرب الإسلامي - بيروت) ط: 1، 1996م).

أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن محمد بن أدريس الرازي (المتوفى: 327هـ)، **الجرح والتعديل**، ن: (دار المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، ط: 1، 1271هـ ، 1952م).

أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ن: (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان).

أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي سليمان اليافعي، (المتوفى: 768هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، وضع حواشيه (خليل منصور)، ن: (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: 1، 1417هـ - 1997م).

أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخصري المصري الشافعي السيوطي، (المتوفى: 911هـ)، **الجامع الصغير تحقيق: علي محمد عمر**، ن: (ط: 1، القاهرة- مكتبة وهبة، 1396هـ).

أبي بكر محمد بن علي بن إسماعيل بن الشاشي القفال (المتوفى: 365هـ)، **محاسن الشريعة**، تحقيق: أبو عبد الله محمد علي سمك، ن: (دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، 1971م). احمد امين ابراهيم الطباخ (المتوفى: 1373 هـ 1954 م)، **ضحى الإسلام**، ن: (مكتبة النهضة المصرية- القاهرة) ط: 8، 1974).

أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، (المتوفى: 668هـ)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: د نزار رضا، ن: (دار مكتبة الحياة- بيروت).

- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني أبو نعيم (المتوفى: 430هـ)، تاريخ
اصفهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، ن: (دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 1410هـ ، 1990م).
- أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري أبي جعفر (المتوفى: 540هـ)، الأفتناع في القراءات
السبع، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ن: (دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، 1419هـ ، 1999).
- أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (المتوفى: 852هـ) لسان الميزان، تحقيق:
عبد الفتاح أبي غدة، ن: (مكتب المطبوعات الإسلامية، 1423هـ ، 2002م).
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين الملقب ابن فارس (المتوفى: 395هـ)،
معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ن: (دار الفكر - بيروت، 1399هـ - 1979م).
- أحمد بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (المتوفى: 852 هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق:
محمد عوامة، ن: (دار الرشيد – سوريا ط:1، 1406هـ، 1986م).
- أحمد بن موسى بن العباس التميمي ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات،
تحقيق: شوقي ضيف، ن: (دار المعارف – مصر، ط: 2 1400هـ).
- أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، ن: (دار الخانجي –
القاهرة، 1990م).
- إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلاً، البغدادي مولداً ومسكناً، (المتوفى:
1399هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية: (وكالة المعارف بإسطنبول
1951-1955هـ).
- الأمام أحمد بن حنبل، (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب
الأرنؤوط، ن: (مؤسسة الرسالة – سوريا - دمشق، ط:1، 1421هـ - 2001م).
- الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بناحمد بن محمد العكري ابن العماد
الدمشقي، (المتوفى: 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ن: (دار
ابن كثير - دمشق – بيروت، ط 1 1408هـ 1988م).

- أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري، ابو حمزة (المتوفى: 93هـ)،
مسند أنس بن مالك، خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، صحابي مشهور.
- أنفال بنت يحيى إمام، رسالة ماجستير، موقف الرازي من القضاء والقدر في التفسير الكبير
تحقيق: يحيى محمد بن ربيع، ن: (جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ط: 1 ، 1432 هـ - 2011 م).
- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين الدين السبكي، (المتوفى: 771)، طبقات الشافعية الكبرى،
تحقيق: د محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، (عيسى البابي، الحلبي مصر، ط: 1 1413 هـ).
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الدمشقي ابن تيمية (المتوفى: 728)،
منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ن: (جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية، ط: 1 1406 هـ - 1986 م).
- التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، ن: (الشركة التونسية للتوزيع-
تونس)، ط: 1 1974 م).
- جعفر شرف الدين، (المتوفى: 1421 هـ 2001 م)، الموسوعة القرآنية خصائص السور، تحقيق:
عبد العزيز بن عثمان التويجري، ن: (دار التقريب بين المذهب الإسلامية- بيروت)، ط: 1، 1420 هـ
(.
- جمال الدين أبو حجاج يوسف المزي (المتوفى: 742)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال،
تحقيق: د بشار عواد معروف، ن: (مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: 1، 1413 هـ، 1992 م) .
- الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ابو علي الفارسي الأصل، (المتوفى: 377 هـ)، الحجة للقراء
السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويباي، ن: (دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت ط:
2، 1413 هـ، 1993 م).
- الحسن بن يسار البصري ابو سعيد، (المتوفى: 110 هـ)، فضائل مكة والسكن فيها، تحقيق:
سامي مكي العاني، ن: (مكتبة الفلاح – الكويت).

حسين بن أحمد بن حسين الزوزني، أبو عبد الله (المتوفى: 486هـ)، شرح المعلقات السبع، ن: (دار احياء التراث العربي- بيروت، ط: 1، 1423هـ، 2002م).

خويلد بن خالد بن محرث ابو ذؤيب الهذلي (المتوفى: 27هـ)، ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين محمود ابو الوفا، ن: (دار الكتب المصرية – 1385هـ، 1965م).

د احمد محمد الجزار، (1445هـ)، التصوف جسر ثقافي بين الشرق والغرب ، ن: (منشأة المعارف بالأسكندرية، 2000م).

د عبدالله محمد النقراط، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، ن: (دار قتيبة دمشق – بيروت، 1424م).

د. محمد شفيع الدين السيد، (المتوفى: 2021م)، البحث البلاغي عند العرب، ن: (دار الفكر العربي- القاهرة) ط: 2، 1996م).

د. نور الدين عتر، (المتوفى: 1422هـ)، علوم القرآن الكريم، ن: (مطبعة الصباح- دمشق)، ط: 6، 1416هـ - 1996م).

الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، (المتوفى: 1398هـ)، التفسير والمفسرون، ن: القاهرة، مكتبة وهبة (2000م).

الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ن: (عالم الكتب – بيروت، ط: 1 ، 1408هـ – 1988م).

زين الدين ابو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ابو بكر الرازي، (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ن: (المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: 5 1420هـ 1999م).

سيد قطب ابراهيم حسين الشاربي، (المتوفى: 1385هـ)، التصوير الفني في القرآن، ن: (دار الشروق، مصر، ط: الطبقة الشرعية 17).

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) العبر في خبر
من غير، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ن: (دار الكتب العلمية- بيروت).

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ
الأسلام، ن: (مؤسسة الرسالة، بروت - لبنان، ط: 1 1988م).

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (المتوفى: 748 هـ)،
سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ن: (مؤسسة
الرسالة، ط 3، 1405 هـ 1985 م).

شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، (المتوفى: 945)، طبقات المفسرين، راجع
النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ن: (دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: 1
1403 هـ - 1983 م).

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (المتوفى: 626 هـ)، معجم البلدان،
ن: (دار صادر- بيروت)، 1995 م، ط: 2).

صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، (المتوفى: 764)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد
الأرنؤوط، ن: (دار احياء التراث العربي- بيروت، لبنان، ط 1، 1420 هـ 2000 م).

عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، الدر المنثور، ن: (دار الفكر
- بيروت).

عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (المتوفى: 911)، الإتقان في علوم القرآن،
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ن: (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394 هـ ، 1974 م).

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) مرصد المطالع في تناسب
المقاطع والمطالع، ن: (دار المنهاج للنشر والتوزيع- الرياض)، ط: 1، 1426).

عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، (المتوفى: 808هـ)، مقدمة ابن خلدون، ضبط المتن والفهرس والحاشية: أ. خليل شحادة، ن: (دار الفكر- بيروت، ط1، 1401هـ، 1981م).

عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، (المتوفى: 1376)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ن: (مؤسسة الرسالة) ط: 1 1420هـ، 2000م).

عبد الرحمن محمد الشرباصي بدوي (المتوفى: 2002م)، مناهج البحث العلمي، ت: د عبد الرحمن بدوي، ن: (دار النهضة العربية، 1963م).

عبد الكريم الخطيب، (المتوفى: 1900م)، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ن: (دار المعرفة- بيروت - لبنان)، 1395هـ - 1976م).

عبد الكريم يونس الخطيب، (المتوفى: بعد 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، ن: (دار الفكر العربي- القاهرة).

عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب، (المتوفى: 68هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (المتوفى: 817هـ)، ن: (دار الكتب العلمية - لبنان).

عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، (المتوفى: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد السلام تدمري، ن: (دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان) (ط: 1 1417هـ - 1997م).

علي بن أحمد بن سعيد الظاهري ابن حزم، (المتوفى: 456هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: د عبد الغفار سليمان البنداري، ن: (دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط: 1، 1986م).

علي بن حمزة الكسائي (المتوفى: 189هـ)، معاني القرآن، تحقيق: عيسى شحاتة عيسى، ن: (دار قباء للنشر والطباعة، 1998م – 1419هـ).

علي بن محمد بن احمد، أبي القاسم الرحبي السمناني، (المتوفى: 499هـ)، روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، ن: (مؤسسة الرسالة بيروت – دار الفرقان عمان ط: 2، 1404هـ – 1984م).

علي سامي بن امين الدمياطي المصري النشار، (المتوفى: 1400هـ)، نشأة الفكر الفلسفي عند المسلمين، ن: (دار السلام – القاهرة).

عماد الدين أبو الفداء ابن كثير (المتوفى: 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ن: (دار الكتب العلمية – منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، ط: 1، 1419هـ).
فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، تحقيق: د: نصر الله حاجي أوغلي، ن: (دار صادر- بيروت، ط: 1، 1424هـ- 2004م).

فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي ، مناقب الإمام الشافعي، تحقيق: احمد حجازي السقا، ن: (مكتبة الكليات الأزهرية، 1406هـ – 1986م).

فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي، شرح عيون الحكمة، ن: (مؤسسة الصادق – طهران، ط 1 1415هـ).

فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، تحقيق: د عاصم ابراهيم الكيالي ، ن: (دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 2020 م).

فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي، أساس التقديس، ، ن: (مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، 1415هـ- 1995م).

فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي، الاربعين في أصول الدين ، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ن: (دار الجيل، 2004م).

فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي، المطالب العالية من العلم الألهي، تحقيق: احمد حجازي السقا، ن: (دار الكتاب العربي - بيروت لبنان، 1407 هـ - 1987 م).

فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي، (المتوفى: 606)، المعالم في علم أصول الفقه، تحقيق: علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ن: (مؤسسة المختار دار عالم المعرفة - القاهرة)، 1424 هـ - 1994 م).

القاضي الشيخ مناع بن خليل القطان، (المتوفى: 1420 هـ)، مباحث في علوم القرآن، ن: (مكتبة المعارف، ط: 3 1421 هـ - 2000 م).

القاضي عبد الجبار بن أحمد (المتوفى: 415)، الأصول الخمسة، تحقيق: د عبد الكريم عثمان، ن: (مكتبة وهبة، ط: 3، 1416 هـ - 1996 م).

مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى بن مخزوم (المتوفى: 324 هـ)، تفسير مجاهد، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، ن: (دار الفكر الإسلامي الحديثة - مصر، ط: 1، 1410 هـ - 1989 م).

مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الأثير الشيباني الجزري، (المتوفى: 606 هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، ن: (المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979 م).

محمد أحمد محمد معبد، (المتوفى: 1430 هـ)، نفحات من علوم القرآن، ن: (دار السلام- القاهرة، ط 2 1426 هـ - 2005 م).

محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد ابي زهرة (ت 1394)، المعجزة الكبرى القرآن، ن: (دار الفكر العربي).

محمد بن حبان بن احمد الدارمي البستي ابن حبان (المتوفى: 354 هـ)، الثقات، ن: (دار المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط: 1 1393 هـ).

محمد بن قطب بن ابراهيم، (المتوفى: 1435 هـ)، دراسات قرآنية، ن: (دار الشروق مصر، ط: 3 1402 هـ - 1982 م).

محمد بن محمد بن مصطفى ابي السعود (المتوفى: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ن: (دار أحياء التراث العربي – بيروت).

محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، تحقيق: روحية النحاس، ن: (دار الفكر للطباعة- دمشق- سوريا، ط: 11402هـ - 1984م).

محمد خير العدوي، (المتوفى: 1201)، القصة القرآنية معالم وتحليل، ن: (دار الفرقان – عمان، 1215هـ - 1994م).

محمد خير محمود العدوي (المتوفى: 1201)، معالم القصة في القرآن الكريم، ن: (دار العدوي عمان- الاردن، ط 1 1408هـ - 1988م).

محمد عبد العظيم الزرقاني، (المتوفى: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ن: (عيسى البابي الحلبي) ط: 3).

محمود السيد حسن مصطفى، رسالة ماجستير، الأعجاز اللغوي في القصة القرآنية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ن: (مؤسسة الشباب الجامعة، ط 1 1981م).

مريم عبد القادر السباعي، القصة في القرآن الكريم، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، (جامعة أم القرى – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1405هـ).
مصطفى ديب البغى محي الدين بغى مستو، الواضح في علوم القرآن، ن: (دار الكلم الطيب دار العلوم – دمشق، ط: 2 1418هـ - 1998م).

مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ن: (دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 8 1425هـ - 2005م).

معمربن المثنى التيمى البصري ابو عبيدة (المتوفى: 209هـ)، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزكين، ن: (مكتبة الخانجي – القاهرة، ط: 1381هـ).

- المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، (المتوفى: 168هـ)، المفضليات، تحقيق: احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ن: (درا المعارف – القاهرة، ط6).
- موسى شاهين لاشين، اللآلئ الحسان في علوم القرآن، ن: (دار التأليف – القاهرة، 1968م).
- ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ن: (دار أحياء التراث العربي- بيروت)، ط:1، 1418هـ).
- نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، (المتوفى: 850هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكية عميرات، ن: (دار الكتب العلمية- بيروت، ط1 1416هـ).

السيرة الذاتية

أكملت تعليمي الابتدائي والثانوي والجامعي في العراق- ديالى، ثم التحقت بالدراسات الجامعية – الدراسات العليا ماجستير الدراسات الإسلامية في جامعة يالوفا سنة 2021م، وتخرجت منها سنة 2024م.

المنشورات والأعمال

صباح عبد الجليل إبراهيم، "موانع النصر في القرآن الكريم" مجلة ريحان 47 (28، 5، 2024).

ÖZGEÇMİŞ

İlk, orta ve üniversite eğitimimi Irak- Diyala'da tamamladım, ardından (2021) yılında Yalova Üniversitesi'nde İslami İlimler Yüksek Lisansı için, yüksek lisans eğitimine katıldım ve (2024) yılında buradan mezun oldum.

YAYIN VE ESERLER

Sabah Abduljaleel İbrahimGburı "Obstacles to victory in the, Holy Qur`an, an objective stuty, Rayhan Journal, 47 (28.5.2024).



**T.C.
YALOVA ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ**

**TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİM DALI**

RAZİ'NİN KUR'AN KISSALARINA YAKLAŞIMI: İSRÂ SÜRESİ ÖRNEĞİ

YÜKSEK LİSANS

SABAH ABDUL JALEEL İBRAHİM GBURI

DANIŞMAN: DR. ÖĞR. ÜYESİ MUSTAFA DEMİRCİ

**YALOVA
EKİM 2024**